



جامعة الجليلي بونعامة خميس مليانة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإجتماعية



العنوان:

مفهوم "العلم الجديد" عند جامبا تيستا فيكو

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر تخصص فلسفة
تطبيقية

إشراف الأستاذ:

* د. بن رابح

أحمد

إعداد:

* دحمان فضيلة

*قسوم حفيظة

السنة الجامعية: 2019/2018

سورة التوبة

شكر وتقدير

الشكر لله والحمد له، والمنةى على منحننا القدرة على إتمام هذا العامل

ولا يفوتنا أن نتقدم

بالشكر الجزيل لأساتذتنا، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف والمؤطر

"الدكتور بن رابع أحمد" على البحث وفي هذا الموضوع نتمنى له

التوفيق من الله عز وجل ودوام الصحة والعافية.

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

إلى الأختوة: ملوك وأسرة الصغيرة، وعبد الرحمان.

إلى الأخوات: فاطمة، بنتة، نعيمة وأسرتها، أمينة وأبنائها.

إلى ابنتي الغالية ورفيقة دربي فاطمة الزهراء أطال الله في عمرها.

إلى الزملاء والأصدقاء إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.



الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين.

إلى إخوتي والأخوات وإلى كل الزملاء والأصدقاء.

إلى كل من يحب.



GLITTERGRAPHICSNOW.COM

- قسم حفيظة -

مقدمة

من المعروف أن الدراسات التاريخية قد قطعت شوطا من النمو والتطور قبل أن تظهر فلسفة التاريخ بوصفها مبحثا هاما يسعى للبحث عن الأسباب التي تتخفى وراء أحداث التاريخ، كما أنها أثارت اهتماما كبيرا لدى الفلاسفة المعاصرين والمؤرخين وهي بدورها دراسة تاريخية قائمة على مبدأ التعمق في الحركة البشرية.

إن فلسفة التاريخ بصفتها فرعا من فروع الدراسات الإنسانية، التي تسعى إلى فهم التاريخ ودراسته وفق مناهج العقل والعلم، وأخذت أبعادها الواضحة في القرن 18 وهي بشكل عام تبحث في الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية، فالحقيقة أن النظر في الفكر القديم يبين لنا بأنه نادرا ما نجد مؤرخا لا تخلو مؤلفاته تماما من التأملات الفلسفية. وفي كتب فلسفة التاريخ يوجد العديد من الأعلام الذين كانت لهم مساهمات في فلسفة التاريخ من أبرزهم: فولتير، مونتسكيو، هيغل حيث ازدهرت خلال القرنين الثامن والتاسع عشر بشكل ملفت للنظر.

وتكمن أهمية فلسفة التاريخ في حيوية وأهمية موضوعات بحثها، إذ تهتم بدراسة حركة المجتمعات البشرية وتطورها وأسباب إنهارها وسقوطها في مرحلة معينة من تاريخها، محاولة إكتشاف القوانين التي تحكم حركة التاريخ وتطوره، وفلسفة التاريخ تقدم نظرة كلية وشاملة، وتحاول أن تفسر حركية المجتمعات، أي تدرس التاريخ ككل التي تخضع لها عبر التاريخ، وتحاول أن تقدم لنا صورة تقارب الموضوعية.

وإذا كانت فلسفة التاريخ مرتبطة بأسماء لامعة ونالت شهرة كبيرة، وحاوونا أن نتطرق إليها من خلال الفيلسوف "جامباتيستا فيكو"، ويعود الفضل له في تسميتها بـ "العلم الجديد"، وقد ذكر اسمه في بعض دراسات الفلاسفة بعد أن أغفلوه طويلا، وخاصة مع حركة البحث القومي الإيطالي إلى أن جاء الفيلسوف الإيطالي الأكبر في النصف الأول من القرن العشرين، وهو "بندتو كروتشيه" فأحيا فكره من جديد، والواقع أن فيكو ليس مجهولا في حياتنا العقلية والعلمية. وفي وطننا العربي اهتم به بعض الباحثين الذين يستحقون كل التقدير والعرفان أمثال عبد العزيز عزة، فصلا في كتابه فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع، وخديجة زيتلي التي خصصت لفيكو فصلا في كتابها بندتو كروتشيه والنزعة التاريخية المطلقة.

ومن هنا نطرح الإشكال ما طبيعة هذا العلم الجديد عند فيكو؟ وكيف أثر في الفكر الحديث؟

وبغية الوقوف عند معالجة تقريبية ومتواضعة لهذه الإشكالية، اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التحليلي والتاريخي والنقدي، نظرا لطبيعة الموضوع التاريخي، وذلك حتى نستطيع الإلمام بتحليل تاريخي وفلسفي، فمن بين خصائص المنهج التاريخي هو دراسة تطور مختلف الظواهر وتاريخها، ففي بحثنا قمنا بدراسة فلسفة التاريخ عند فيكو من خلال الكشف عن مفهوم علم التاريخ عنده، ومن ثمة تحليله وهنا بصفة خاصة تحليل أفكار فيكو ومحاولة شرحها، بغية التوصل إلى فهم تقريبي. كما اعتمدنا على المنهج النقدي بحكم الضرورة التي يقتضيها الموضوع.

ولأجل ذلك اعتمدنا الخطة التالية: مقدمة، ثلاثة فصول مترابطة ومتسلسلة فيما بينها خاتمة.

- مقدمة: بينا من خلالها الموضوع ومن ثمة الإشكالية المراد دراستها.
- الفصل الأول: تناولنا فيه من علم التاريخ إلى فلسفة التاريخ ويتضمن ثلاثة مباحث وهي كالتالي: التعريف بفيكو، حالة الدراسات التاريخية قبل عصر فيكو وفي عصره والفرق بين علم التاريخ وفلسفة التاريخ.
- الفصل الثاني: تناولنا فيه فلسفة التاريخ عند فيكو ويتضمن أربعة مباحث وهي: موقف فيكو من فلسفات عصره، القواعد المنهجية لدراسة علم التاريخ عند فيكو مبادئ علم الجديد وخصائصه عند فيكو، أطوار الحضارة عند فيكو.
- الفصل الثالث تناولنا فيه أثر العلم الجديد وقيمه عند فيكو ويتضمن أربع مباحث: تأثر هرذر في فلسفة فيكو، تأثر بندتو كروتشيه في فلسفة فيكو، تجاهل فولتير لفلسفة فيكو، المشاكل النظرية لفلسفة التاريخ عند فيكو
- خاتمة والتي عرضنا فيها مختلف الإستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال هذه المعالجة.

وعلى الرغم من أهمية هذه البحوث، إلا أنها لم تستسقي كل جوانب فلسفة التاريخ ولم تقدم نظريته في التاريخ بصورة واقعية، فإن المكتبة العربية كانت وما تزال في أشد الحاجة إلى بحوث متخصصة في فلسفة فيكو، ومن الصعوبات والعقبات التي واجهتنا في بحثنا هذا نذكر: غياب ترجمات المصادر إلى اللغة العربية ووجودها فقط باللغة الأجنبية والتي حاولنا تخطيها فقط بالإعتماد على المرجع "عطيات أبو السعود" وقلة المراجع التي تخدم هذا الموضوع وحتى إن وجدت فقط تعسر على جلبها من المكتبات الأخرى، وهذا مازاد الأمر صعوبة في تقديم نظرية فيكو بشكل واضح، ضف إلى ذلك

العديد من الصعوبات والتي لا داع لذكرها، وعلى الرغم من ذلك سعينا إلى إنجاز هذا البحث سد النقص في الدراسات العلمية والأكاديمية.

ونرجو أن يكون هذا البحث ثمرة جديدة تنبه البحث حول هذا المفكر الكبير.

ولإثراء هذا البحث إعتدنا على مجموعة من المراجع المرتبطة مباشرة بالموضوعونها تجدر الإشارة إلى أن ما وجدناه من مراجع باللغة العربية قد لا يفي بالغرض كون الدراسات حول فيكو قليلة باللغة العربية.

كما اعتمادنا على موسوعات ومعاجم منها: المعجم الفلسفي لجميل صليبا، معجم جورج طرابشي، موسوعة لالاند الفلسفية، موسوعة عبد الرحمان بدوي.

أما الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع تتوزع إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، وأما الأسباب الذاتية فهي كالتالي:

- رغبنا في دراسة فلسفة التاريخ الحديثة ومعرفة نشأتها.

- كذلك الرغبة التعرف على الفيلسوف فيكو وفكره التاريخي، وأهم مؤلفاته.

أما الأسباب الموضوعية فهي كالتالي:

- إن العصور الوسطى هي عصور التخلف والانحطاط الفكري، وما دراسة فيكو لهذا العصر إلا محاولة لفهم أسباب ذلك وبالتالي تقديم تصور حول نمو وتطور المجتمع.

- أهمية الطريقة التي استخدمها فيكو في دراسته، هذا ما يزيدنا إبداعا في الفترة التي ظهر فيها.

- محاولة إثراء المكتبة الفلسفية الجزائرية بمثل هذه الدراسات الهامة التي أصبحت محل اهتمام الغرب، لأن فيكو لم ينل الشهرة التي يستحقها في عصره وما بعده.

الفصل الأول : من علم التاريخ إلى فلسفته

• المبحث الأول : التعريف بفيكو

• المبحث الثاني: حالة الدراسات التاريخية قبل عصر فيكو

وفي عصره

• المبحث الثالث: بين علم التاريخ وفلسفة التاريخ

المبحث الأول : التعريف بفيكو

1-1 من هو فيكو؟ وما هي أهم مؤلفاته؟

جومباتيستا فيكو مؤرخ وفيلسوف إيطالي، ولد في نابولي في 23 يونيو عام 1668م في حجرة متواضعة فوق مكتبة يملكها والده، نشأ في أسرة رقيقة الحال فكان والده ابناً لفلاح، وقد كانت أمه ابنة صانع عربات كما كانت هي الزوجة الثانية لأبيه.

كان جومباتيستا فيكو هو الطفل السادس لأسرة مكونة من ثمانية أطفال إلتحق في سن مبكرة بمدرسة الأباء اليسوعيين وفيها درس اللغات القديمة وخاصة اللاتينية وبعض اليونانية، كما درس الأدب والبلاغة والفلسفة والمنطق واللاهوت والتشريع وبالأخص التشريع الروماني وبالإضافة إلى ما حصله من فترات من اعتكافه في مكتبة والده¹.

تنقل فيكو بين نابولي وبوتيشي وفاكولا ودشن حياته الأدبية بنشره " إنفعالات ياكسس" عام 1693م وهي عبارة عن موشحة كشف عن التشاؤم وأسيان من طبيعة كونية وعن تأثير بمذاهب لوقراسيوس وفي عام 1699 دخل فيكو إلى الأكاديمية البلاتينية وألقى خطاباً إفتاحياً مهماً نشر بعد وفاته، وكان الخطاب حول ولاءم العشاء الباذخة لدى الرومان، وفي العام نفسه تزوج من امرأة أمية وهي تيريزا كاترينا ديستيو" أنجب منها ثمانية أولاد².

وعين بموجب مسابقة لمرتب لا يزيد على مئة دوقية سنوياً، إشتغل أستاذاً للبيان في جامعة نابولي، وبينما أن شاغلي هذا الكرسي كانوا ملتزمين بأن يلقوا كل سنة خطاب الإفتتاح العام الأكاديمي في "18 تشرين الأول".

فقد ألف فيكو بين عامي "1699، 1706" ستة خطابات إلا أنها نشرت بعد وفاته³.

¹ - عطيات أبوسعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، منشأ للمعارف، بيروت، لبنان، 2010، ص 18 .

² - جورج طرابشي، معجم الفلاسفة "المناطقة اللاهوتيين المتصوفون" دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2006، ص 487 .

³ - المرجع نفسه، ص 488 .

وعلى الرغم مما كانت تتميز به هذه الخطابات من نفس قوى، ومن حس عالي فإنه يتأرجح فيها بوضوح صدق مختلف الفلاسفة الذين درسهم فيكو في شبابه وخاصة ديكرت وليس هذا حال الخطاب السابع الذي ألقاه عام 1708م ونشره بنفسه مع بعض الإضافات¹. والواقع أن دراسات فيكو سواء كانت لغوية أو فلسفية أو قانونية أو تاريخية إلا أنها كانت إرهابات لفلسفة المجتمع البشري، أثناء إعداد نفسه لكرسي القانون المدني الذي خلا في عام 1723 ألف مسودة لهذه الفلسفة تحت اسم القانون العالمي وجعل شعاره عبارة مشهورة في كتاب القوانين * "لشيشرون"، وأن علم القانون ليس مستمداً من قرارات إدارية كما يعتقد أغلبية الناس، ولا من قانون الألواح الإثني عشر كما اعتقد البعض قديماً ولكنه مستمد من أعماق الفلسفة.

وأصدر فيكو مؤلفه القانون العالمي في ثلاثة أجزاء، ظهر الجزء الأول منه عام 1720م والثاني 1721م والثالث عام 1722م، وكان أحد فصول هذا الكتاب بعنوان محاولة عن العلم الجديد وتقدم فيكو بمؤلفه هذا للمسابقة ولكنه أخفق للمرة الثانية، ولعل من سخرية القدر أن يفوز في هذه المسابقة أفاق يدعى دومينيكو نيتيليه، ولم يسبق له أن كتب شيئاً يستحق الذكر عدا محاولته الوحيدة في وضع كتاب فشل بسبب إنتحاره وذهبت كل آمال فيكو في الفوز وبهذا المنصب ولم يعد الكرة مرة أخرى².

ويشيد فيكو مذهباً ميتافيزيقياً كاملاً يمثل القسم الجديد منه في نظريته ما يسمى بالنقاط الميتافيزيقية، وبموجب هذه النظرية فإنه كما تتولد من النقطة الهندسية لا امتداداً لها الخطوط والسطوح، كذلك فإنه من المباح لنا أن نضع نقاطاً هندسية بل ميتافيزيقية يتولد منها الإمتداد وإن لم يكن من السطح¹.

¹-جورج طرابشي، معجم الفلاسفة "الفلاسفة والمناطقة المتكلمين"، مرجع سابق، ص 488 .

*شيشرون .. كاتب روماني و خطيب روما المميز ولد سنة "106-43 قبل الميلاد" .

²-المرجع نفسه، ص 488 .

¹-عطيات أبو سعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص ص 19 ، 20 .

وكان من المفروض أن يلي الكتاب الميتافيزيقي كتاب ثان وهو كتاب أخلاقي وكتاب ثالث هو الكتاب الطبيعي ولم يتعد طور التصميم وكما يتضح أنه كان من المفروض أن يعرض هذا الكتاب منهجاً جديداً في فلسفة الطبيعة أو الكوسمولوجيا².

²- المرجع نفسه ، ص 289 .

1-3 الإتجاهات الفكرية في فلسفة فيكو:

هكذا نشأ فيكو في المجتمع الإيطالي في زمن كانت فيه نابولي ملتقى تيارات فكرية ثقافية عديدة، فدرس في صباه المذهب "الذري والأبيقوري" الذي كانت نابولي في ذلك الحين مركزاً له وتأثر وتأثر كبيراً في بداية حياته *بالفلسفة الذرية القديمة** *ديمقريطيس و***أبيقور" وقرأ الكلاسيكيين أمثال "أفلاطون وأرسطو و***تاسيتوس" كما توفر كذلك على دراسة مذاهب السابقين لعصر النهضة ورواد النزعة الطبيعية الحديثة، كما أثر عليه المنهج العلمي عند "فرنسيس بيكون" (1692 - 1927) وغيره تأثيراً قوياً بدون أن ننسى أن هذا العصر هو عصر سيادة الفلسفة العقلية "ديكارت" و"هوبز" وأن الفكر المسيطر كان فكر ديكارت، الذين لم يجتمعا إلا على شيء واحد ألا وهو معارضتهما لأرسطو¹.

¹ - عطيات أبو سعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 30.

*المذهب الذري الأبيقوري: المذهب الأبيقوري نسب إلى الفيلسوف أبيقور (340ق - 270ق م) وهو للمذهب فلسفي مؤداه أن اللذة هي وحدها الخير الأسمى والألم هو وحده الشر الأقصى والمراد باللذة في هذا المذهب هو التحرر من الألم والإهتياج العاطفي.

والمذهب الذري: فكرة فلسفية تطورت في اليونان خلال القرن الخامس قبل الميلاد يعتقد الذريون أن العناصر الأساسية للحقيقة تتشكل من الذرة غير القابلة للإنقسام.

**الفلسفة الذرية القديمة: هي مدرسة ما قبل سقراطية في الفكر اليوناني القديم ظهرت في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد مع لوكيبوس وتلميذه الأكثر شهرة ديمقريطيس.

***ديمقريطيس: فيلسوف يوناني ولد في أبديرة تراقيا، ولد في (460 ق. م - 370 ق. م) شارك في تأسيس المذهب الذري.

****أبيقور: هو فيلسوف يوناني قديم عاش في الفترة بين عامي (341-270 ق. م) أسس لمدرسة فلسفية سميت بإسمه وهي المدرسة الأبيقورية.

*****تاسيتوس: كان مؤرخاً رومانياً رئيس قضاة في إحدى المقاطعات الرومانية، عاش ما بين عام 56-120 قبل الميلاد يعتقد أنه قد ولد في فرنسا وتوفي في إحدى المقاطعات الرومانية.

كل هذه التيارات الفكرية مجتمعة كانت هي الفكر السائد في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر،"الفترة التي عاش فيها فيكو والتي إنتشرت فيه تيارات فلسفية للإعلاء من شأن العلم وتمجيده ولم تكن مراكز هذه الدراسات الجديدة في الأديرة أو الجامعات وإنما كانت في بعض الصالونات الأدبية والأكاديميات التي أسسها رواد النهضة الإيطالية على نمط الأكاديميات العلمية في فرنسا وإنجلترا"¹.

واتهم أنصار الفلسفة الجديدة من قبل الكنيسة بالإلحاد وقدم بعضهم لمحاكم التفتيش التي كانت تجثم على الأنفاس في ذلك الوقت وإذا كان فيكو لم يذكر شيئاً عن محاكم

التفتيش في سيرته الذاتية رغم نشاطها في نابولي طوال فترة حياته، إلا أن كتاباته تفهم من خلال هذه الخلفية القائمة².

وفي الفترة الواقعة بين 1699 - 1706 كان فيكو لا يزال يشارك ديكارت ومالبرانش* (1638-1715) في إزدرائهما للتاريخ الذي لم يرقى في نظرهما إلى مستوى العلم كما عبر عنه في إحدى محاضراته، ولكنه بدأ يتخلص من تأثير ديكارت بعد ذلك بعشر سنوات، بحيث بدأ يستنكر أحكامه على علم اللغة على الرغم من إعترافه بفضله في تحرير العقول من سلطان أرسطوا ومناهج المدرسين³.

1 - عطيات أبو سعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 31 .

2- المرجع نفسه، ص 32.

3-المرجع نفسه، ص 32.

*مالبرانش: هو كاهن فرنسي عاش في الفترة ما بين 6 أغسطس 1638 في باريس وتوفي في 13 أكتوبر 1715 (77سنة)، وهو يعد أحد الفلاسفة العقلانيين في القرن 17 .

المبحث الثاني: حالة الدراسات التاريخية قبل عصر فيكو وفي عصره.

2-1 طبيعة الحقيقة التاريخية في الفكر اليوناني والروماني:

يطلق لفظ الإغريق على القبائل التي هاجرت عام 200 قبل الميلاد من أواسط آسيا "الهند" واستقرت في اليونان¹.

وبالرغم من وجود مؤرخين يونان اهتموا بكتابة التاريخ، إلا أنه لم يوجد فرع من فروع المعرفة في ذلك الوقت سمي بفلسفة التاريخ، وبالتالي عدم وجود منهج معين يبحث في طبيعة الحقيقة التاريخية عندهم، هذا وتنحصر مصادر التاريخ عندهم في الأدب والخطب وكتابات المؤرخين وهي الأهم، إلا أننا لا نجد ما يدل على اهتمامهم بتفسير طبيعة الحقيقة التاريخية أو شروطها أو محاولة البحث عن صنع التاريخ بالرغم من اهتمامهم بكتابة التاريخ، وتدوين ماضي شعورهم ولعل ذلك سببه عدم حرص المؤرخين على توخي الدقة في نقل الأخبار فنجد أن "هيرودوتس" مثلاً أول المؤرخين "أواسط القرن الخامس ق.م" قد كتب تاريخاً حاول أن يجعله شاملاً من أخبار العالم كما كانت معروفة في عصره، ومن بينه قسم من تاريخ اليونان.

لقد تحدث "هيرودوتس" في كتابه عن كل شيء، وقدم وضعاً تقريرياً ليس فيه تحليل كثيراً كذلك نجده يعتمد على الرواية أي ما تواتر من أخبار من جيل لجيل، وبالرغم من أن قد أعطته قدراً كبيراً من الحقائق لكنها على ذلك لا بد أنه قد أعطته قدراً كبيراً من الأخبار المحرفة الغير الصادقة².

1- أحمد محمود صبحي وآخرون، في فلسفة الحضارة اليونانية الإسلامية الغربية، دار المعرفة الجامعية، ط 2، 2000، ص 23

*هيرودوتس: هو مؤرخ يوناني ولد في هاليكارنا سيوس بالإمبراطورية الفارسية عاش في القرن الخامس ق م 484-425 ق م من أعماله البارزة التاريخ.

2- لظفي عبد الوهاب يحي، اليونان مقدمة في التاريخ والحضارة، دار المعرفة الجامعية، ط 2، 1987 ص 60.

من المؤرخين اليونان كذلك المؤرخين *ثيوكديدس" النصف الثاني من القرن الخامس "وأوائل القرن الرابع ق.م" وقد تميز عن سابقه في ناحيتين أساسيتين: الأولى أنه لم يكتب عن تاريخ مناطق شتى، وإنما ركز فقط على الحروب "البيلونونيسية" التي قامت بين أثينا وأسيرطة في الثلث الأخير من القرن الخامس ق.م. لذا كانت كتابته محيطة بكل تفصيل فضلا عن أنه كان أحد القواد الأثينيين في تلك الحرب.

أما ما تميز به ثانيا فهو تحليله للحوادث والمواقف والشخصيات تحليلا اجتماعيا ونفسيا عميقاً، فكان بذلك أول مؤرخ يتبع المنهج العلمي التحليلي في كتابة التاريخ¹.

كذلك نجد المؤرخ "كسينوفان" الذي ظهر في أواخر القرن الخامس والشرط الأول من القرن الرابع ق.م وكتب عدة كتب عن تاريخ بلاد اليونان، وقد كانت في موضوعات مختلفة، بعضها عسكري وبعضها اقتصادي وبعضها اجتماعي، مما يدل على أن طبيعة الحقيقة التاريخية كانت في ذلك الوقت تأخذ مسارات مختلفة فنجد صانع التاريخ فرداً في بعض الأحيان والنظرة الفردية، وأحياناً نجد مسار التاريخ متأثر بالوضع الإقتصادي فيذكرنا ذلك بالربط بينه وبين المنهج الماركس.

أما النوع الثاني من مصادر التاريخ اليوناني، فهو ما يسمى بالخطب التي كان يلقيها خطباء اليونان في المجالس الشعبية، وأمام الهيئات السياسية والقضائية فمن خلالها نتعرف على العلاقات بين أفراد المجتمع وطبقاته وانعكاس ذلك على المجتمع اليوناني.

إن من أشهر ما وصل إلينا من الخطب تلك المنسوبة إلى "بركلي" « Perikles » القرن الخامس ق . م لكن هذه الخطب أيضا غير دقيقة لأن الخطيب إما أن يكون مدافعا عن قضية أو مهاجما لقضية أخرى مضادة، وهنا نلاحظ أن الحقيقة التاريخية عند اليونان

¹- لظفي عبد الوهاب يحي، اليونان مقدمة في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص 62.

*ثيوكديدس: مؤرخ إغريقي (460 ق.م-395 ق.م) ويعد أول المؤرخين الإغريق الذين أعطوا للعوامل الإقتصادية والإجتماعية أهمية خاصة.

تأخذ الطابع الذاتي أيضا يمكن أن يعد الفلاسفة والمفكرين والعلماء من المصادر التي نأخذ منها الإنجاز الفكري العلمي للمجتمع اليوناني، كالعلماء والذين كانوا يبحثون في الفلك والطب، ويتضح لنا أن المجتمع كان يؤخذ بعين الاعتبار، مما يدل على أن الحقيقة التاريخية عندهم تعتبر من صنع الأفراد¹.

كذلك من مصادر التاريخ عند اليونان الأدب، الذي بمجرد ذكره يخطر على أذهاننا ذكر الملحمتين الشهيرتين "الإلياذة و"الأوديسيه" المنسوبتين إلى الأديب "هوميروس" وقد عكس الأدب كل ما يتضمنه المجتمع من أفكار في ذلك الوقت مثل القوة والبطولة والمثل التي تكافح من أجلها طبقات المجتمعات المختلفة، وهذا يعني اعتناق اليونان لمبدأ تاريخ الحضارات².

وقد تجاوزت تأثيرات الفكر اليوناني في التاريخ وفي غيره من المجالات نطاق اللغة اليونانية والجنس اليوناني، إلا أن الرومان كانوا متأخرين زمنياً عن نظرائهم اليونان وأقل عدداً منهم لذا ظل تاريخ روما حتى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد يدون من قبل المؤرخين اليونانيين بلغتهم اليونانية إلى أن دون في سنة 160 ق.م المؤرخ الروماني "كاتو" (237-142 ق.م) كتابه المسمى (الأصول) الذي أرخ فيه لروما منذ تأسيسها سنة 751 ق.م

1 - لطفي عبد الوهاب يحي، اليونان مقدمة في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص 62.

2- المرجع نفسه، ص 62.

*الإلياذة: ملحمة شعرية تحكي قصة حرب طروادة وتعتبر مع الأوديسا أهم ملحمة شعرية إغريقية للشاعر الأعلى هوميروس، ويعود تاريخه إلى القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد.

**الأوديسا: هي واحدة من ضمن ملحمتين إغريقيتين كبيرتين منسوبيتين إلى هومروس وتعد ركناً رئيسياً للأدب الغربي الحديث، وقد ألفت بنهاية القرن الثامن قبل الميلاد في منطقة أيونيا اليونانية الساحلية في الأناضول.

*** هوميروس: شاعر ملحمي إغريقي أسطوري يعتقد أنه مؤلف الملحمة الإغريقية الإلياذة والأوديسية ولد في أيونيا في القرن 9 ق.م وتوفي في القرن 8 ق.م.

**** (كاتو) ماركس بورسيوس كاتو: هو سياسي عاش في روما القديمة، عاش (234-149 ق.م) ولد في تسلكم الجمهورية الرومانية.

وقد تراجع التدوين التاريخي عند الرومان بعد تاسيتوس ليعكس الإضمحلال الذي أشرنا إليه إلا أنه بدأ يعتري الفكر التاريخي الروماني منذ أن تحكمت في التاريخ قبيل السيد المسيح عوامل إيديولوجية وسياسية فأصبح عمل المؤرخين في معظمه لا يتعدى جمع المعلومات من كتب التاريخ وإعادة ترتيبها وكتابتها دون إخضاعها للنقد والتحليل. وبعد إنتشار المسيحية في الإمبراطورية الرومانية استمر التاريخ حتى بعد سقوط روما سنة (306-337 ق.م) في تراجع من الناحية العلمية والموضوعية ذلك أن رجال الدين قد تعاهدوا تدوينه فأفرغوه من مضامينه الدنيوية والعلمية ووظفوه لأغراض دينية وكان أشهرهم: أوسيبوس¹.

2-2 طبيعة الحقيقة التاريخية في عصر المسيحية:

استحدثت المسيحية فكرتين من أفكار الرئيسية في كتابة التاريخ عند الإغريق والرومان أولهما فكرة التفاؤل بالطبيعة الإنسانية والثانية فكرة تستند إلى جوهر الأشياء وتقوم بقيم أبدية تكمن وراء عملية التغيير التاريخي. لقد أثرت الأفكار المسيحية على فكرة التاريخ السابق الإشارة إليها في ثلاثة اتجاهات هي:

أ- ظهور نزعة جديدة في التاريخ تذهب إلى أن نشاط الأحداث التاريخية ليس من قبيل النشاط الإنساني في أهدافه وإنما هو إقرار لمشئنة الله.

ب- الوقوف على حقيقة نشاط القوي التاريخية وتفسيرها بوصفها أساليب التي إبتدعتها الأهداف الإلهية.

ج- يرى المسيحي أن الناس جميعاً متساوون أمام الله، ولا يوجد جنس أو طبقة أو هيئة اجتماعية تمتاز على غيرها.

وإذا نظرنا للتاريخ بالمنظور المسيحي نجده يتميز بالخصائص التالية:

¹- الدكتور موسى النجار جميل، فلسفة التاريخ، القاهرة، مكتبة مديوني، ط1، 2011، ص 52.

(1)- أن يكون التاريخ تاريخاً للعالم يرجع إلى أصل الإنسان، ويعرض لكيفية التي نشأت من الأجناس البشرية واستقرت في أنحاء الأرض المختلفة.

(2)- أن يكون التاريخ قدريا حيث لا ينسب الأحداث لحكمة البشر، ولكن أعمال القدر الذي سبقت في عمله هذه الأحداث فرسم طريقها.

(3)- يهتم هذا التاريخ بكشف عن تدبير مفهوم يتجلى في مجرى العام لأحداث وبصفة خاصة يعلق أهمية كبرى على حياة المسيح التاريخية ويجعلها محور الحوادث¹.

(4)- أن التاريخ يقسم إلى حقب أو فترات لكل فترة طابع خاص، وتفصل بينها وبين الفترة السابقة لها حادثة تعتبر من وجهة النظر التي اصطلح عليها مثل هذا التاريخ بداية عصر².

فالتاريخ كما يراه *أوغسطين يدور حول كل من المؤقت والأبدي، فالله أبدي وهو خالق الزمن، ولا يجوز فهم الأبدي ولا وصفه من وجهة نظر المؤقت فالله موجود وحال في الزمان كله مثلما هو أبدي، والزمن وإن لم يمكننا فهمه بمفاهيم الذهن فمن المقطوع به أنه مما يمارسه الإنسان، والعلاقة بين المؤقت والأبدي علاقة بعضها عند أوغسطين حقيقة وذات أهمية للدين مفهومة للإنسان، والله في إطار التاريخ البشري هو العناية فشؤون التاريخ الأرضي يتولاها الله الواحد ويحكمها كما يشاء، وليس في الإمكان مطلقا الاعتقاد بأنه ترك ممالك البشر خارج قوانين العناية، فإن الممالك البشرية تقوم بفضل العناية فهي لم توحد اعتبارا ولا بحكم إحدى الضرورات وارتبطت وجهة نظر أوغسطين في التاريخ بالأخلاق بالإضافة إلى صيغتها الدينية.

1- رأفت الشيخ، فلسفة التاريخ، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، طبعة مصر، 1996، ط1، ص ص 81، 84 .

2- المرجع نفسه، ص 84.

*أوغسطين: كاتب وفيلسوف مسيحي وأحد كبار الكنيسة الكاثوليكية ولد في تاغنست وهي ما تعرف اليوم بسوق أهراس في شرق الجزائر في 13 نوفمبر 354 ق.م، وتوفي في 28 أغسطس من سنة 430 .

وقد كان أوغسطين من الرافضين لنظرية التعاقب الدوري للحضارات في التاريخ ذلك أنه كان يعتقد بأن الحوادث لا تتكرر فاللاهوت المسيحي يعتبر صلب المسيح أهم واقعة تاريخية منذ بداية الخلق وهي حادثة فريدة لا يمكن أن تتكرر.

وقد أعاد جاك بوسويه نظرية أوغسطين، فقد استعرض في كتابه "مقال في التاريخ العالمي" تاريخ العالم من وجهة نظر دينية مسيحية كاثوليكية فقسم التاريخ إلى حقب على أساس ديني مستمد من كتاب المقدس على النحو التالي: هبوط آدم 4004 ق.م، طوفان نوح عام 2348 ق.م دعوة إبراهيم عام 1921م، نزول شريعة موسى عام 1491 ق.م ثم ظهور السيد المسيح، أما أهم الوقائع بعد ظهور المسيحية فالثنتان، إعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية 312م تم تتويج البابا ليوثرلمان إمبراطوراً على الرومان عام 800م ويطلعنا التاريخ الديني في نظرة على تخطيط إلهي محكم وإذا كنا نؤمن بقدرة الله في الطبيعة فأولى أن نؤمن بعنايته وأحكام تدبره في تاريخ الإنسان أن التاريخ يهدف إلى إعلان كلمة الله والمقصود بكلمة الله عنده سلطان الكنيسة وهكذا يتبين أن مفهوم العناية الإلهية لديه كما كان لدى أوغسطين لم يتجاوز العقيدة المسيحية¹.

يرى أوغسطين كذلك أنه مادامت العدالة لا تتأثر إلا بالقوة فالحرب إذا مشروعة يبدأ من لا تكون كذلك إلا إذا كانت الوسيلة الوحيدة لرد العدوان، أو المحافظة على حقوق مهددة أو مخصومة².

خلاصة القول أن التاريخ قبل عصر فيكو كان عبارة عن تدوين منحصر في أحوال الأمراء والأحوال القصر، لكن في عصر فيكو تحرر الإنسان من الخرافة في العصور التي تحكم فيها

العقل، وأصبح الإنسان وضع متميز عن الكون، وأن أحداث التاريخ لا تتكرر ولا تتعاقب لكنها تتخذ مساراً مستقيماً³.

¹ - مصطفى حسن النشار، فلسفة التاريخ، دار النشر والتوزيع، عمان ، ط1 ، 2012، ص ص173، 172 .

² - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة دبي، ط3، 1990، ص 169 .

³ - رأفت الشيخ، في فلسفة التاريخ، للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 1996، ص 85 .

2-3 طبيعة الحقيقة التاريخية في عصر النهضة:

لكن في عصر النهضة الأوروبية "القرن سادس عشر" وعصر التنوير "الثامن عشر" ثار كثير من المفكرين على هذه النظرية اللاهوتية حيث قالوا إن موضوع التاريخ ليس الله العالي على الكون والذي يدبر بعناية مجرى أحداث العالم، بل موضوع التاريخ هو الإنسان نفسه فلقد أدركوا أن سلوك الإنسان على مدى الزمان يكشف عن ثوابت معينة فقد جاؤوا عدة أشخاص وأعلام فسرو منهم ميكيافيلي، فولتير، وقد صارت هذه النظرية ليس فقط نظرة المؤرخين في عصر التنوير وماتلاه، بل كانت سائدة في أذهان المثقفين بوجه عام.

وفي الفترة التالية مباشرة لنزعة التنوير نجد تعميقا لفكرة التقدم العقلي وتحقيق العقل لنفسه، فأصبح ينظر إلى تطور العقل على أنه يجري وفق لمبادئ العلم والوعي بوجه عام¹.

وأیضا نقول أن مؤرخو عصر التنوير التاريخ في تدهور خلال العصر الوسيط وفي تقدم خلال القرنين "السابع عشر والثامن عشر"، متجاهلين الديمومة والاتصال بين أجزاء التاريخ بينما عصر الوسيط حلقة اتصال بين الماضي والحاضر وليس كما يرى "فولتير" خرافة وجهلا وليس التقدم الذي يدعيه مؤرخو عصر التنوير لعصرهم في مجرد انتصار الإنسان على قوى الطبيعة لأنه إذا كانت هذه تمثل جانب العقل فالإنسان ليس مجرد عقل وإنما فيه جوانب متباينة مشتملة على الإرادة والعواطف فضلا عن العقل².

ولقد حاول بعض المؤرخين في عصر التنوير من تجاوز الرؤى الغربية التي صببت إهتماماتها على دراسة التاريخ الأوروبي، فدعا إلى تنازل الدراسات التاريخية للمجتمعات البشرية كافة، وربما كان هذا التوجه ناتج عن حاجة فلسفات التاريخ، والتي بدأت بفلسفة فيكو قبيل منتصف قرن التنوير لمادة في التاريخ تقيم عليها هياكل تتمثل في تواريخ العالم أجمع.

¹ - موسوعة عبد الرحمن بدوي، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص158.

² - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص36.

تميزت الدراسات التاريخية في ذلك القرن بإعتمادها على تفسيرات عقلية لحوادث التاريخ بعيدة عن الغيبيات والتفسيرات الدينية لمسار التاريخ وحوادثه.

كما اتصفت كثير من الدراسات التي تناولت تواريخ الأمم أو التاريخ العالمي بالموضوعية ومحاولة التحرر من الميول والأهواء في الحكم على حوادثها وفي مقارنة الظواهر المختلفة للحضارات البشرية ببعضها بغية الوصول إلى حقيقة التقدم الذي أحرزه الإنسان خلال مسيرته التاريخية.

إن معظم الدراسات والكتابات التاريخية في عصر النهضة تميزت بالموضوعية والوضوح والإبتعاد عن الصيغ البلاغية التي تحط من شأن القرون الوسطى وتعدّها حقبة تراجع للعقل الإنساني¹.

المبحث الثالث: بين علم التاريخ وفلسفة التاريخ

في البداية قبل الدخول إلى مفهوم علم التاريخ علينا أن نتطرق إلى مفهوم التاريخ فنتساءل ما معنى التاريخ؟ وفي هذه المسألة علينا أن نفرق بين التاريخ التي توالي أحداث العالم على مر الزمان وبين علم التاريخ الذي يضيف تلك الأحداث ويرتبها على نحو معين، أما صفة تاريخي فتدل في اللغة العادية والعلمية على معاني متباينة، إذ تدل على ما هو نسبي أو مشروط في عبارة "حقوق تاريخية مثلاً"، وعلى ما هو موضوعي وغير ذلك، وتطلق هذه الصفة على النظريات، التجارب،.....

ويفرض التاريخ استمراراً واتصلاً في التطور بحيث، يكون الماضي داخلاً في تكوين الحاضر والمستقبل وينقسم التاريخ إلى تاريخ عام للعالم، وتاريخ خاص ببلد أو أمة أو منطقة².

وفي مفهوم آخر أصبحت كلمة التاريخ بالمعنى اللفظي اللغوي تعني العملية التي بموجبها يصل شيء خاص معين إلى مستوى خاص في تطوره، وقد كان هذا الشيء

¹-الدكتور موسى النجار، جميل فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 88 .

²-موسوعة عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 157.

الخاص للتاريخ هو الإنسان وأصبح التاريخ بهذا المعنى فكرة شاملة يرى أنه كل شيء وكل نشاطه موضوع لبحثه وداخل ضمن نطاقه، وإن كلمة تاريخ استعملت أول الأمر لتفي الزمن أو الحقبة ثم اكتست معنى الكتب التاريخية¹.

3-1 التاريخ إصطلاحاً:

من خلال هذه التعريفات الوجيزة وغيرها يتضح لنا أن التاريخ عند أغلب المؤرخين هو بحث ودراسة واستقصاء لأخبار الناس وحركتهم، والنظر في أحوالهم الماضية، أما موضوعه فهو الحياة الإنسانية في امتدادها الزمني على الأرض منذ بدء الخلق إلى اليوم وما يحكم هذه الحياة من عوامل وأسباب².

وقد إستعملت لفظة تاريخ في الإصطلاح على نحوين اثنين، فتارة تستعمل ويراد بها مضمون ومحتوى المادة التاريخية، وتارة أخرى تستعمل ويراد بها طريقة التعامل مع هذه المادة، وهذه الإزدواجية في الإستعمال أدت إلى خلط في فهم معنى اللفظ. ويرتبط التاريخ بلفظة مؤرخ والمؤرخ: الشخص الذي يدرس التاريخ³.

3-2 مفهوم علم التاريخ:

فقد اختلفت الآراء حول مفهوم علم التاريخ فبعضهم يرى أنه ليس بعلم بل هو درب من دروب الفن، وهناك علاقة جدلية بين الفن والتاريخ باعتبار الأول مصدر هام من مصادر المعرفة التاريخية، أي تعين المؤرخ على إعادة تصوير الماضي خاصة بعد أن اتسع مفهوم التاريخ، وبالتالي تعددت مصادر المعرفة التاريخية هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن الإنسان هو الموضوع المشترك بين الفن والتاريخ، باعتباره مبدعاً للفن وأيضاً

¹-مفاتيح علم التاريخ، نجاة سليم محاسيس محمود، دار زهران للنشر والتوزيع، 2012 عمان، الأردن، ص 29

²-خالد فؤاد طحطح، في فلسفة التاريخ، الدار العربية للعلوم الناشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1430 هـ 2009 م

³-مفاتيح علم التاريخ، نجاة سليم محاسيس محمود، مرجع سابق، ص 29.

صانعاً لأحداث التاريخية، ومن هنا نتساءل ما مفهوم علم التاريخ، وما هو الفرق بينها وبين فلسفة التاريخ؟ .

إن علم التاريخ هو فرع خاص من فروع المعرفة وبالتالي منهجه يختلف عن منهج العلوم الطبيعية، فالتاريخ هو عالم الحرية والحركة الديناميكية ولكن ما يهمننا في هذا البحث. هل أراد فيكو للتاريخ أن يكون علماً على نسق العلوم الطبيعية؟ نعم أراء فيكو أن تجعل من العلم الجديد علماً بشرياً على نمط العلوم الطبيعية وعالج الظواهر البشرية معالجة علمية، وكأن أراء للعلم الجديد أن يؤكد فكرتين أساسيتين الأولى معرفتنا لعالم الظواهر البشرية يمكن أن تكون دقيقة وعلمية تماماً وثانية أنه علم بشري يقوم على المعرفة التجريبية السابقة¹ .

فلا بد أن نعرض لمفهوم العلم عند فيكو لاسيما أنه يؤخذ مفهوم العلم عند أرسطو فيقول: "بأن العلم يتعلق بما هو كلي عام ضروري وأبدي" فالعلم الجديد يتضمن تطبيق مفهوم الكلية والضرورة، فقد عرض في مسلمات من 5 إلى 15 مسلمة في أصول العلم الجديد، فعرض فيه الجوانب الأساسية لمفهوم الإنسان ككائن تاريخي إجتماعي، لذا يرى فيكو أن إخفاق المؤرخين الأول في أعمال يرجع لعدم إعتادهم على التصور الفلسفي الصحيح للإنسان، وأنهم لو كانوا فعلوا هذا لإستبقوه في إكتشاف العلم الجديد. وأكد فيكو علمية التاريخ في إطلاق لفظ "العلم" على أهم مؤلفاته وكرره في الطبقات الثلاث للكتاب² .

وهو العلم الذي يعني بالدرجة الأولى بدراسة الحوادث أو الوقائع التي حدثت في الماضي أو هو العلم الذي يسعى لإقامة تتابع الأحداث التي وقعت بالفعل أو العلم الذي يختص بترتيب وتصنيف السلوك الإنساني عبر الزمن الماضي وثمة من يرى أن التاريخ سجل مكتوب للماضي والأحداث الماضية.

¹-عطيات أبوسعود، فلسفة التاريخ عدة فيكو، مرجع سابق ص ص 167 168.

²-المرجع نفسه ، ص 168 .

ونقطة أخرى أن تاريخ البشرية ليس بالضرورة أن يقوم في مكان محدد ومعين وأن تطوره تطور واحد مستمر يمثل خطأ مستقيماً دائماً إستقراء التاريخ يقودنا إلى أن مناطق معينة أنتجت في مراحل وفترات معينة ما يطلق عليه عادة "الحضارة" الثقافة بعضها يؤثر في حضارات أخرى¹ .

وقد توصل كاي فيجي إلى معنى مطلق للتاريخ بقوله "علم يبحث عن الزمان والمكان وأحواله وعن أحوال من يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيفه" وأيضاً التاريخ هو جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كانت على الفرد والمجتمع كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية² .

وإن التاريخ معرفة ذاتية لذهن حي، ومع أن وقائعه ماضية فإنها يجب أن تبقى حية في ذهن المؤرخ .

ويعد *كولنجوود من أبرز المؤرخين المعاصرين الممثلين لنزعة التاريخية وهو يتفق مع كروتشيه في عدم صلاحية المنهج التجريبي لعلم التاريخ لأن الواقعية التاريخية ليست معطيات كما هو الحال في العلم الطبيعي. ولأن أيضاً لا تاريخ للطبيعة بل أنه علم الأحياء أقرب العلوم إلى نظر الطبيعيين إلى التاريخ³ .

3-3 ماهية فلسفة التاريخ:

قد حدث جدال واسع حول مفهوم علم التاريخ، وهذا أيضاً ينعكس حول مصطلح

فلسفة التاريخ الذي فيه الأخذ والرد في وجهات النظر، وحول دراسة التاريخ في المستقبل بصورة فلسفية، وبلغ الإهتمام بالدراسات التاريخية ذروته في القرن 19 .

¹ - نجاة سليم محاسيس، مفاتيح علم التاريخ، مرجع سابق ص 30 .

² - المرجع نفسه، ص 32 .

³ - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 41 .

*كولنجوود: من أبرز ممثلي الإتجاه المثالي في إنجلترا في القرن 20 ومن أهم كتبه مبادئ التاريخ، فكرة الطبيعة، توفي عام 1943.

وقد رأى المهتمون بفلسفة التاريخ إن هناك فجوات في أحداث التاريخ وتركيبته العامة والتي تحمل الغموض لا يمكن أن تملك إلا بإضافة المنهج الفلسفي إلى المنهج التاريخي ومن هنا نتساءل أين تتجلى ماهية فلسفة التاريخ؟.

وسوف نقدم لكم من رواد الأوائل الذين استخدموا إصطلاح فلسفة التاريخ ويعود هذا المصطلح فلسفة التاريخ إلى قديس أوغسطين في كتابه "مدينة الله" الذي عاصر تدهور روما وحاول إعطاء التعليل حول هذا البحث ومزجه بالتفكير الديني، وحاول إعطاء تأويلاً فلسفياً.

والبعض الآخر يرى أن هذا المصطلح يعود إلى المفكر الفرنسي "فرانسوا فولتير" الذي استخدم هذا المصطلح من خلال إحدى مقولاته التي كتبها "التأملات الفلسفية في التاريخ الإنسانية" وقد دعا إلى دراسة التاريخ دراسة عقلانية نقدية بعيدة عن الأهواء والعواطف وتخليصها من الروايات والبدع.

وهناك من يرى أن الإيطالي "جامبا تيسا فيكو" حاول أن ينقل مفهوم التاريخ من النزاعات المستمرة من الدرس والتدقيق وإصدار أحكام عليه، وحاول تقديم تفسير لقيام وسقوط الحضارات خاصة في كتابه "أصول علم الجديد"¹ عد فيه التاريخ فرع من فروع المعرفة في المجتمع الإنساني. حيث إرتبطت الفلسفة بالتاريخ وأصبح التاريخ موضوع الفلسفة المفضل وحيث تحدد الفكر الفلسفي طبقاً للفكر للمرحلة التاريخية التي يمر بها.

تحولت العناية الإلهية إلى قانون للتقدم وأصبحت الفلسفة هي محيرة عن هذا التقدم، وقد ظهر ذلك بوضوح في عصر التنوير، وقد ازدهرت بصورة أوضح عند "هيجل" فهو الذي فلسف التاريخ وأرخ الفلسفة وجعل للفكر مساراً في التاريخ فوحد بين الفلسفة والتاريخ فالوعي التاريخي ووعي الفلسفة تاريخ الفلسفة².

¹ - مفيد كامل الزيدي، مدخل إلى فلسفة التاريخ، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 2006، ص ص 24، 26 .

² - نجاة سليم محاسيس، مفاتيح علم التاريخ، مرجع سابق، ص 126 .

وكتعريف آخر في فلسفة التاريخ عرض نظريات أدرجتها فيما يلي:

الباب الأول: الإجابة عن السؤال ما الذي يحدد مسار التاريخ؟

رأى "فيكو" أن مسار التاريخ كعجلة دائرة تخضع للحتمية إذ تتعاقب الحضارات على الدول تعاقب دوريا بين نشأة وازدهار وانحطاط، ورأى رجال الدين في التاريخ مظهر العناية الإلهية وتعبيراً عن التخطيط الإلهي محكم بينما عارض مفكرو "عصر التنوير" ذلك إذ لم يروا من التاريخ إلا أثر الفعل الإنساني وفسروا لعصرهم فجعلوا مسار التاريخ العالمي مزيجاً من التدبير الإلهي، والفعل الإنساني ظاهرة أفعال الإنسان العشوائية وباطنه تدبير محكم وتخطيط مرسوم.

أما الباب الثاني: نظريات متكاملة في فلسفة التاريخ، وتعقيد تاريخ الإنسان جعل كل فيلسوف يتناوله من بعد معين جاء مذهب * "هيجل" بعداً ميتافيزيقياً إيساقاً مع سائر فلسفته فليست هذه الدراسة لجميع نظريات فلسفية التاريخ.¹

ويرى بعض المختصين في فلسفة التاريخ تتضمن ركنين أساسيين أول : هو عد فلسفة التاريخ جزءاً لا يتجزء من معظم الفلسفات التأملية، التي تحاول أن تستخدم متطلبات التاريخ والقوانين التي تضبط حركة سير المجتمعات الإنسانية عن طريق استخدام التفكير الفلسفي والثاني: أنها فلسفة تحليلية نقدية تستهدف تحليل الأحداث واستخلاص قوانين موضوعية بعيدة عن الشكوك.

ومن هنا نلاحظ أن الفلسفة هي تاريخية تعتمد على النظر التأملية لإعطاء صورة شاملة لسكون و ليست جزئية لحركتها ، و تعتمد على النقد و التحليل و المقارنة لفهم الطبيعة وحركة التاريخ كما ومن هنا نلاحظ أن الفلسفة هي تاريخية تعتمد على النظر التأملية

1- أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ، ص ص 137، 138 .

*هيجل: جورج فيلهلم فريد ريش هيجل ولد في 27 أغسطس 1770 وتوفي في 14 نوفمبر 1831، فيلسوف ألماني، ويعتبر أحد أهم الفلاسفة الألمان، ويعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن 18 عشر.

لإعطاء صورة شاملة لسكون وليس جزئية لحركتها، وتعتمد على النقد والتحليل والمقارنة لفهم الطبيعة وحركة التاريخ¹.

كما أن تفترض فلسفة التاريخ التأملية كان يستلزم بالضرورة أن يتضح التاريخ كعلم له منهج ووسائل معرفية تتيح الإطلاع على الماضي بشكل يقترب من الصحة والدقة وهي مهمة التي توسعت لتكون فيها بعد فلسفة التاريخ النقدية، كذلك فإن فلسفة التاريخ النقدية في سعيها للكشف عن حقيقة الماضي، إنما تؤدي دوراً في عملية استنتاج الماضي وفهم الحاضر واستشراق المستقبل، تستكمل به فلسفة التاريخ التأملية وظيفتها وتعزز به سعيها لبلوغ أهدافها الأساسية في فهم الحاضر واستشراق المستقبل².

إن فلسفة التاريخ تقوم على أساس وجود قوانين تتحكم في سير التاريخ وهذه القوانين يجب إكتشافها والتعامل معها، ومن هذا المنظور يصبح التفسير التاريخي للحوادث إجتهاداً بشرياً يحتمل الخطأ والصواب لأنه يدخل ضمن ميدان الدراسات النظرية³.

وقد تطور مفهوم فلسفة التاريخ في الدراسات الحديثة فأصبح مصطلحاً يشير إلى جانبين مختلفين من جوانب دراسة التاريخ، الجانب الأول يجعلها دراسة لمناهج البحث أي الطرق والأساليب المستعملة للتحقق من الوقائع التاريخية⁴.

أما الجانب الثاني فيتمثل في تقديم وجهة نظر عن مسار التاريخ ككل وهو ما يطلق عليه الفلسفة التأملية للتاريخ، والتي تهتم بالأسباب المؤدية إلى ظهور أنماط معينة في حركة التاريخ عن طريق إكتشاف القوانين المتحكمة في ذلك والتنبؤ على أساسها بالمستقبل⁵.

1 - مفيد كامل الزبيدي، مدخل إلى فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص ص 24، 25 .

2 - جميل موسى النجار، فلسفة التاريخ، مرجع سابق ص 67 .

3 - د. عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 33 .

4 - المرجع نفسه، ص 34 .

5 - المرجع نفسه، ص 34 .

ونستخلص من كل هذا ومهما تعددت الرؤى إلى فلسفة التاريخ في أبسط تعريف لها عبارة عن النظر في الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية ومحاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية، والعمل على إستنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر العصور¹.

3-4 العلاقة بين علم التاريخ وفلسفة التاريخ:

تعذر أن تندرج فلسفة التاريخ ضمن موضوع علم التاريخ وصعوبة اعتراف المؤرخين بها ولكنها لن تعني على الإطلاق أن فلسفة التاريخ غير ذات موضوع أو أن دراسة التاريخ يمكن أن تغني عنها لأن لهذه مجالات لا يتعلق بها التاريخ بل هو قاصر فالتاريخ يعرف الباحث في وقائع وحوادث لا حصر لها ومن جهة يشد الباحث إلى الماضي شداً حتى يصبح على حد تعبير ديكرت لشدة ألقته به غريباً عن الحاضر وفلسفة تغوص في التاريخ كل هذا القصور، إنها تجعل لوقائعه المتراكمة المتتالية معنى ومغزى وهي إذ تخالف التاريخ في تطلعها الدائم إلى المستقبل فإنها لا تجعل الإنسان يقود تحت عبء الماضي، ومن ثم فهو محصن ضد ما أسماه نيتشيه "داء التاريخ"، ومنه نتساؤل ما الفرق بين فلسفة التاريخ وعلم التاريخ؟

فلسفة التاريخ لا تعوض قصور التاريخ فحسب بل أنها تعوض قصور الفلسفة أيضاً، يشد التاريخ الفلسفة إذن حتى لا تحلق بعيدا في غير عالمنا وترتفع الفلسفة بالتاريخ حتى لا تغوص في حل الماضي ودمائه ويلتمس التاريخ من الفلسفة الحكمة والمغزى وتلتمس الفلسفة من التاريخ الواقعية وكلاهما يكمل الآخر قصوراً. ولم تنشأ فلسفة التاريخ لأنها تعوض قصور كل من الفلسفة والتاريخ فحسب وإنما تنشأ العلم عادة لأنه يلبي للإنسان احتياجاته الفكرية².

¹ - رأفت غنمي الشيخ، فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 14 .

² - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 135.

إن فلسفة التاريخ ضرورية للتاريخ كما هي ضرورية لأي علم آخر، فلا يمكننا أن نتحدث عن أسباب التدهور والإنحلال والتقدم والإنحطاط والتي هي وقائع تاريخية إلا داخل الفلسفة بمعرفة السبب الكلي أو العلة الأولى، وقد ذكر "هورس" في كتابه "قيمة التاريخ" أن التاريخ لا يستطيع وحده وبكفاية من ذاته أن يغذي حياة داخلية وثقافة في الإنسان ، فهذا الدور لا يقدر على تمثيله غير الفكر المتحكم بالنظريات¹ .

لذا وضع هذه الضرورة وهذا التكامل بين الفلسفة والتاريخ أصبح لزاما على الفلاسفة وحتى المؤرخين إخضاع حقل التاريخ بالفلسفة، وكان "فولتير" أول من استعمل وبصفة مباشرة المصطلح في القرن الثامن عشر، وكان يقصد به عرض تحليلي ونقدي² . ومن ثم نجد أن مفهوم الذي قصده فولتير من فلسفة التاريخ، كان لا يتجاوز عملية البحث التاريخي ودراسة التاريخ بما يوسع من أفاقها الفكرية والنقدية للوصول إلى تاريخ يعكس

طبيعة التقدم المطرد للعقل البشري ويبتعد عن دائرة الأفكار الضيقة للمؤرخين الأوروبيين التي تهتم بالحروب والتاريخ السياسي فحسب دون تاريخ الحضارات³ .

ومن هذا يتجلى لنا الفرق بين التاريخ كعلم، وفلسفة التاريخ فعلم التاريخ يخضع لقواعد منطقية بعيدة عن الإعتباطية والصدفة في حين أن فلسفة التاريخ تسعى إلى الوقوف على العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الحوادث التاريخية الكلية، فهي تسعى إلى الكشف عن الروابط المنطقية للحوادث التاريخية في كليتها فيلسوف التاريخ لا ينظر إلى الحوادث التاريخية كأجزاء بل كوحدة عضوية بين الحوادث⁴ .

¹ - بن مزيان بن شرقي، دروس في فلسفة التاريخ، ص 18 .

² - المرجع نفسه، ص 19 .

³ - جميل موسى النجار، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 19 .

⁴ - وولش، مدخل إلى فلسفة التاريخ ص 129، نقلًا عن هاشم يحي الملاح، مقصد في فلسفة التاريخ، دار الكتب

ط1، 207 بيروت، لبنان ص6.

الفصل الثاني: فلسفة التاريخ عند جامبا تيستا فيكو

• المبحث الأول: موقف فيكو من فلسفة عصره

• المبحث الثاني: القواعد المنهجية لدراسة علم التاريخ عند فيكو

• المبحث الثالث: مبادئ العلم الجديد وخصائصه

المبحث الرابع: أطوار الحضارة عند فيكو

المبحث الأول: موقف فيكو من فلسفات عصره

1-1 موقفه من الفلسفة الديكارتية:

كانت نقطة الإنطلاق في فلسفة فيكو هي نقده لنظرية المعرفة الديكارتية وبخاصة نظرتها للتاريخ كمجموعة من الحقائق المضطربة وسلسلة رديئة من الحكايات السخيفة هاجم فيكو نظرية ديكارت للمعرفة بما تضمنته من ألوان أخرى من المعرفة، وقام نقد فيكو لديكارت على تأكيد البعد التاريخي والإجتماعي للإنسان، لأن الإنسان في رأيه شخصية متكاملة وهو ليس عقلاً فحسب بل خيال وانفعال وعاطفة، وينتهي فيكو من نقده لنظرية المعرفة الديكارتية إلا أن دراسة التاريخ تختلف عن دراسة الرياضيات والطبيعة، وقد تبلورت فكرة التاريخ لأول مرة لدى فيكو في نظريته إلى التاريخ بوصفه نشأة الجماعات الإنسانية وأنظمتها وتطورها، ولقد خلق الإنسان صرح الحياة الإجتماعية من العدم، لهذا كانت كل صغيرة وكبيرة في هذا الصرح عملاً من أعمال الإنسان يعرفه العقل على حقيقته حق المعرفة⁴.

غير أن فيكو لم ينكر الدور الذي أيدته معرفة الرياضيات في مجالات عدة ولم يشكك فيكو في صدقها بل ما أعابه على ديكارت أنه هتم بالرياضيات مختلف المعاني التاريخية مبرراً أن الرياضيات وما توصلت إليه تعد هي المعيار الوحيد للحقيقة⁵ قد توصل فيكو من نتائج بمثابة الأسس التي من خلالها يشرح فلسفة ديكارت وهي الكتالي:

الأساس الأول: الإستناد إلى الوعي الذاتي كمبدأ أول لليقين.

الأساس الثاني: الإستناد إلى وجود معرفة أولية سابقة عن التجربة متضمن بوجود الله.

الأساس الثالث: الإستناد إلى الوضوح والبداهة كمعيار للحقيقة⁶.

¹-Vico, GB, New science Trans, by thomas Goddard Bergin Harold Fisch, New York,

نقلا عن عطيات أبو السعود. Comell University Press, 1969, P24.

2- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 104.

3- المرجع نفسه، ص 153.

وقد شرح ماركس هوركايمر في كتابه تلك الأسس في قوله: " أن الجدل القائم إنما مرده إلى ظهور النهضة في القرن 18، والإهتمام بالرياضيات وبرز عصر التنوير في القرن 18، والذي أولى عناية كبيرة بالعلوم الإنسانية وخص بالذكر التاريخ، "فقد انتقد فيكو مدرسة ديكارت على طريقتها وأسلوبها في تحليل مبادئ التاريخ والتطور العميق الذي عرفه التاريخ فقد هاجم فيكو الأسس الثلاثة التي استند إليها ديكارت"¹ .

إن الكوجيتو الديكارتى يعتبر في نظر فيكو خاصاً بالرياضيات ولا يمكن تعميمه على كافة المعارف وتوكيداً له بقول صبحي "إن الكوجيتو الديكارتى والمتضمن أن الوعي الذاتى مبدأ أول لليقين ومعارضة فيكو منطلقة من أن الوعي الذاتى لا يشكل أساساً سليماً للمعرفة خارج نطاق الرياضيات ومن ثم فإنه لا يصلح أن يكون أساس للمعرفة العلمية ولذا فإن فيكو يرى أن ما نعرفه ونجده على يقين به هو ما تفعله، فالفعل الإنسانى لا الوعي الذاتى هو مبدأ الحقيقة في علم التاريخ، فإن اليقين الرياضى لوجود الله، والذي يستند إلى وجود معرفة أولية سابقة على التجربة، ومن ثم اعترض فيكو هذا، ويستند على أن الأدلة على وجود الله لا تليق بالذات الآلهة بالإضافة إلى أن المعارف النظرية السابقة على التجربة مرفوضة بالنسبة لعلم التاريخ"² .

أما الدليل الآخر الذي قدمه فيكو وانتقد فيه ديكارت وهو اليقين الرياضى كمعيار للوضوح والبداهة وفي هذا عندما حصل ديكارت على معياري التمييز والوضوح ولم يجدهما حاصلتي بعد ذلك إلا في الرياضيات أساسه لكنه قد استخرجها من الرياضيات نفسها عندها وحدهما في الكوجيتو"³ .

1- ماكس هوركايمر: بدايات فلسفة التاريخ الوجودانية، محمد علي اليوسفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 2006 - ص 79 .

2- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص ص 154، 155 .

3- عطيات أبو السعود: فلسفة التاريخ عند فيكو ، مرجع سابق، ص 80 .

وان مجادلة ديكرت تعني تحليل ما إذا كانت الرياضيات هي المعرفة الحقيقية الوحيدة، ومن هناك وما إذا الفكر الرياضي هو التماظهر الحقيقي لماهية الإنسان¹ . وبالرجوع إلى تأليف فيكو واستعراض أفكاره حول التطور التاريخي للأمم والشعوب وتوجيهاته الثقافية، واقتناعاته العلمية، نلاحظ أنه لم يرقى بالرياضيات أساس لثقافة إنسانية عميقة بخلاف التاريخ الذي اعتبره مجال بحث للمعارف الإنسانية التي تحدد رؤيتنا للتطور البشري، وما كان ليفكو أن يتوجه إلى ذلك لولا تلك الثقافة الكلاسيكية التي تشبع بها، وتأثره بأفكار أفلاطون² .

ولا تعمقه في دراسة اللاهوت والقانون وبحثه في مكونات ودلالات اللغة والشعر كما برز ذلك في تأليفه في أصول الشعر والقانون، وفي ربطه الصلة بين علم الفيزيولوجيا وبين الفلسفة ليصل إلى مبادئ العلم الجديد في تحليل التاريخ³ .

وهذا ما أكده بقوله بالإعتماد على الفلسفة وعلى علم اللغة الفينولوجيا يمكن معرفة مسيرة المماثلة ذات المنحى الواحد للأمم⁴ .

لقد تعامل فيكو مع مجتمع حيوي أوجدته حركة النهضة الإيطالية وكرسته أنظمة الدولة الحديثة، ودعمته الحركية الإجتماعية والإقتصادية، فتجاوب مع وسطه وحاول فهم أصوله ومنطلقاته، فرجع إلى أحداث التاريخ يبحث عن الطبيعة المشتركة بين الأمم ليجد تفسيراً لتوجهات النشاط البشري في التاريخ وليحلل واقع عصره، ورجع إلى العلوم الرافدة للمعرفة الإنسانية التي وفرتها الحركة الإنسانية في إسهاماتها في علوم المنطق والرياضة

¹- عطيات أبو السعود: فلسفة التاريخ عند فيكو ، مرجع سابق ص80 .

²- ألبان ويدجيري، الجزء الأول التاريخ وكيف يفسرونه من الكزنفوشسية إلى توينبي، ترجمة عبد العزيز جاويد القاهرة ط1، 1972، ص138.

³- Vico, Principes d'une science nouvelle Ed, Gallimard, Paris 1993 P351.

⁴ -Vico, Principes d'une science nouvelle p 351. نقلا عن عطيات أبو السعود .

والطبيعة والفلك، والموسيقى والشعر، مما أوجب عليه الإهتمام بالإنسان الذي إعتبره صانعاً للحياة الإجتماعية¹.

1-2 موقف فيكو من أصحاب نظريات القانون الطبيعي:

لقد تصدى فيكو لنقد نظريات القانون الطبيعي لأن أصحابها في رأيه قد وقعوا في خطأ بين أساسين هما:

أولاً: إفتقارهم للحس التاريخي أو الرأي التاريخي، إذ سلموا في مناقشتهم في أصول المجتمع البشري والمؤسسات الإجتماعية بسكون الطبيعة البشرية وجمودها، وأنها طبيعة غير متغيرة، فكانت مناقشتهم ضرباً من الجدل وانتهى في رأيه إلى تجريدات جوفاء مثل القانون الطبيعي والعقد الإجتماعي².

ثانياً: محاولة أصحاب نظريات القانون الطبيعي إسقاط ثقافة عصرهم وتفكيرهم العقلي المنطقي على بدايات المجتمع البشري وافترضوا أن أولئك البشر كانوا يفكرون مثلهم³ والواقع كما سنرى أن القانون الطبيعي للشعوب قد نشأ بطريقة أولية وبدائية في كل الشعوب مع جهل كل منها بالآخر، لهذا اهتم فيكو بوضع نظام علم جديد يتعلق بطبيعة الشعوب ويختلف عن القانون الطبيعي لفلاسفة القرن 17م، وهذا ما بينه فيكو في كتابه مبادئ بالعلم الجديد المتعلق بالطبيعة المشتركة للشعوب⁴.

وقد إستفاد فيكو كذلك من آراء "شيشرون" و"أرسطو" و"أفلاطون" في تنظيم المجتمع البشري ولم يعبأ بالفلسفة الرواقية عند الأبيقوريين والرواقيين لأنها فلسفات بشر متوحدين، كما نثر من ميتافيزيكا أرسطو واتجه إلى المثل الخالدة عند أفلاطون وتأثر

¹ - Pons, Vico in dictionnaire des Philosophes A.Micle, Paris 1998, PP1528 – 1530 .

نقلا عن عطيات أبو سعود -

² - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص34.

³ - المرجع نفسه، ص35 .

⁴ - المرجع نفسه، ص37 .

بفلسفته الأخلاقية التي تقوم على مثل الفضيلة والعدالة بهذا بدأ فيكو يفكر في نظام اجتماعي مثالي يحقق عدالة مثالية وأشرقت في ذهنه الفكرة الأساسية وهي قانون أبدي مثالي يراعي في مجتمع مثالي في ظل العناية الإلهية¹ .

وقد عرف أيضاً فيكو في قراءته عن "فرانسيس بيكون" كيف كان الأصل في الحديث هو الإيماءات التي تعبر عن الكلمات وكيف نشأت الكتابة بالرموز قبل اختراع الحروف الهجائية.

ومن هنا تبلورت لديه فكرة كاملة للعلم الجديد وبذلك إستطاع أن ينجز شئئين

هامين هما:

أولاً: أنه أحسن الإستفادة من التقدم الذي طرأ على منهج البحث التحليلي النقدي الذي جاء ثمرة لجهود مؤرخي القرن 17، تم فصل بينه وبين الإعتماد على المصادر المكتوبة محتفظاً له بطابعه الأصيل الذي يستطيع عن طريق التحليل العلمي للمادة المكتوبة ليكشف عن حقائق أتى عليها النسيان² .

ثانياً: تطويره للأسس الفلسفية المتضمنة في تصويره للأحداث التاريخية إلى الحد الذي يستطيع عنده أن يقوم بهجوم مضاد على الأسس العلمية والفلسفية لمدرسة ديكارت.

هكذا قد نكون قد بينا الظروف التاريخية والعوامل الثقافية التي مهدت لإكتشاف مبادئ العلم الجديد الذي يعد البداية الحقيقية لنشأة علم التاريخ على أساس وظيف من التطور الاجتماعي للإنسان ويبقى علينا الآن أن ننظر في مبادئ هذا العلم الجديد نفسه والأصول والمسلّمات التي يقوم عليها³ .

فحاول أن يلمس جوانب فاعلية الإنسان في موقفه وتعامله في مسائل العقيدة والمعيشة وتكوين الأسرة، وهذا ما مكنه بالفعل من الإهتمام بنمو النفس الإنسانية وتطور

¹ - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 38.

² - المرجع نفسه، ص 38.

³ - المرجع نفسه، ص 39 .

المجتمعات البشرية، إعتاماداً على تعاملها مع اللغة والأدب والدين والقانون بدءاً بالمجتمعات القديمة ووصولاً إلى الأنظمة الملكية الحديثة¹.

المبحث الثاني: القواعد المنهجية لدراسة علم التاريخ عند فيكو

إن القواعد المنهجية التي قدمها فيكو لدراسة ظواهر التاريخ قد ساهمت مساهمة واضحة في وضع الأسس الضرورية لنشأة علم التاريخ لذا فقد توصل بعض الباحثين إلى أن أهمية فيكو ترجع إلى المنهج أكثر مما ترجع إلى المذهب بقول أحمد محمود صبحي: "إن فيكو قد قام فعلاً بتمهيد الطريق إلى ذلك بإدخاله بعض طرق العمل وباقتراحه بعض المبادئ العامة فهو إذا يبرز أكثر كأحد مؤسسي علم التاريخ".

إن القواعد وحدها غير كافية مادام الباحث في التاريخ لم يتخلص من بعض العوائق التي سماها فيكو بالأوهام وهي كالتالي:

(1) - وهم التهويل والتفخيم: حيث يمجّد للمؤرخ ماضي أمته مبرزاً قوانين المجد والقوة والثراء، وقد أشار فيكو إلى أن كل دقة تاريخية لا تستمد قيمتها من مجرد ما تحقق فيها من إنجازات، وإنما تستمد أيضاً من الدور الذي أدته تلك الإنجازات في مسار العالم للتاريخ².

(2) - غرور الأمم: لاحظ فيكو أن اهتمام الأمم بتاريخها وعنايتها به يجعله تحابي نفسها فتلقي الأضواء على الجوانب التي تعتقد أنها مشرفة وتهمل الجوانب الأخرى، فنحدث على سبيل المثال في انتصاراتها بإسهام بعض الطرق أو نوجز الحديث عن هزائمها³.

(3) - وهم الثقافة الأكاديمية: ويقابل هذا الوهم "وهم الكيف" وهم يحمل المؤرخ على الاعتقاد بأن من يؤرخ فهم كانوا أساساً من علماء وطلبة العلم، أو هم من أولى العقلية المفكرة،

¹ - Ferry, Giam, Battista, Vico, in dictionnaire des Euvers Politique, Puf Paris 1995 PP

1247 - 1253. - نقلاً عن عطيات أبو سعود .

² - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 156 .

³ - يحي هاشم الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط2007، ص1، ص137 .

غير أن فيكو نبه على أن أبعد الرجال أثراً في الأحداث التاريخية هو أقلهم من حيث التعليم الجامعي، لأن العظمة التاريخية والعقلية المفكرة فهما يجتمعان في إنسان واحد¹.

(4) - وهم التعاقب العلمي للأمم: وهو الوهم الذي ينشأ بسبب اعتقاد المؤرخ بأنه إذا التزمت أمتان فكرة متشابهة أو نظاماً متشابهاً، ولا بد أن تكون واحدة منهما، قد أخذت هذه الفكرة أو هذا النظام نقلاً عن الآخر...، إن مرت مثل هذا الخطأ هو ارتكاز قدرة العقلية الإنسانية على الإبتكار الأصيل تلك العقلية التي تستطيع أن تكتشف من جديد عن أفكار تأخذ بها من دون أن نتعلمها نقلاً عن غيرها².

(5) - وهم الإقتراب: يتوهم بعض المؤرخين أن الأجيال السابقة أكثر علماً هنا بالنسبة إلى العصور قريبة العهد في عصرهم، ولقد أوضح "كولنجوود" أن تحذير فيكو من هذا الخطأ أمر عظيم الأهمية، والسبب في ذلك هو أننا في تطور الجانب الإيجابي منه نجد أن هذا المبدأ القائل بأن المؤرخ لا يعتمد في معرفته على الروايات التقليدية المتصلة الحلقات³.

2-1 الخطوات المساعدة لدراسة الحوادث التاريخية علمياً:

لقد قدم فيكو عدداً من الطرق الإيجابية التي تساعد المؤرخ في بحثه عن الحقيقة تتجاوز مجرد الإعتماد على الروايات والأخبار، وقد أشار كولنجوود إلى أن هذه الطرق قد أحدثت تغييراً جباراً في مجال الدراسات التاريخية في ذلك الحين، ونعرض فيما يأتي هذه الطرق بإيجاز:

1- دعا فيكو إلى ضرورة توظيف الدراسات اللغوية من أجل فهم التطور التاريخي الذي مرت به حياة شعب من الشعوب، وذلك لأن اللغة أداة تعبير وتوصيل للأفكار الدائمة النمو

¹- يحي هاشم الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص، ص 137، 138.

²- المرجع نفسه، ص 138.

³- المرجع نفسه، ص 139.

والتطور، كما أن الأساليب البلاغية والإستعارات والكتابات كانت لها دلالات مخالفة لدلالاتها الآن¹.

2- ضرورة التعامل مع الأساطير التي كانت شائعة لدى الشعوب القديمة على أنها أمور معبرة عن وحداتها وأسلوب تفكيرها ومعتقداتها وتلك لأن هذه الشعوب لم تكن قد وصلت في تطورها مرحلة التفكير الموضوعي لتعبر عن نفسها في صيغة قوانين وأنظمة وأفكار مجردة، وإنما كانت تعيش في مرحلة العقلية البدائية التخيلية ومن ثم قد جاءت أساطيرها لتعبر عن النواحي الإجتماعية والإقتصادية، والسياسية من تفكيرها فضلاً عن النواحي الدينية.

ولقد أوضح فيكو ذلك من خلال دراسة الأساطير الأغريقية والرومانية²، لذا فإن من واجب المؤرخ المعاصر ألا يتعامل مع أخبار الشعوب القديمة عن الآلهة، والأوثان والأساطير بالعقلية المعاصرة فيستخف بها، وإنما عليه أن يتعمق في دراسة ما كانت ترمز إليه بالنسبة إلى تلك الشعوب من أجل التعرف على دلالات متنوعة كي يستطيع فهم الماضي فهماً أفضل³.

3- وما ورد في الروايات نفسه، يخضعه فيكو للتحليل لمحاولة الوصول إلى حقائق الماضي ذلك أن هذه الروايات من وجهة نظره ليست دقيقة فهي استنكار لأحداث متشابهة لم يسلم من التشويه عبر رحلة نقل المصادر له، ويستطيع المؤرخ أن يحدد شيئاً من التحريف المعتمد حينها، يحاول الوصول إلى المعنى الذي يريده الرواة وإلى حقيقة شخصياتهم.

4- ويرى فيكو أن كثيراً من حقائق أقدم العصور التاريخية يمكن أن يصل إليها المؤرخ حينما يجد الوسيلة التي يفسر بها الخرافات والأساطير القديمة التي تتصف بالوحشية

¹- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 109 .

²- يحي هاشم الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق 140 .

³- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 145 .

وتتمثل هذه الوسيلة من وجهة نظره في دراسة بعض البيئات المعاصرة التي توجد فيها مثل تلك العقلية الوحشية القديمة، كذلك يرى فيكو في هذا المجال أن الفلاحين في عصره لهم فكر بدائي واستجلاء أفكارهم يكشف عن طبيعة أفكار المجتمعات البدائية الأولى.

-وهكذا نجد أن جهود فيكو التي نجدها دوافع فلسفية نقدية تسعى للتنظير للمعرفة التاريخية وتأصيلها وإثبات يقينها وقد شكلت بداية لتبلور الفكر التاريخي العربي الحديث¹.

2-2 دور العناية الإلهية في التاريخ عند فيكو:

في البداية نتطرق إلى مفهوم العناية الإلهية بصفة عامة.

لقد سادت فكرة العناية الإلهية معظم الحضارات القديمة فلو أخذنا على سبيل المثال: المصريين والبابليين والأشوريين والأكاديين واليونانيين، وأمانوا بأن الإنسان جزء من هذا الكون ومن ثم خاضع إلى قوانين مثله في ذلك مثل الكون، وهنا نشير إلى الفكرة وهي أن بني إسرائيل قد خالفوا هذه الشعوب حيث أنهم لم يسلموا بغير اليهودي في هذا الكون.

على اعتبار أنهم شعب الله المختار أي أن العناية موجهة إليهم، ومن هنا نقول أن العناية الإلهية مفهوم واسع وشاسع وهو إنساني أي له علاقة بالوعي الإنساني².

وتشير نظرية العناية الإلهية بوجه عام إلى أن التاريخ في نظر المؤمنين بها أشبه بالمرحلية التي ألفها الإله منذ الأزل ويقوم بالدور الرئيسي في تمثيلها الإنسان ومن ثم فإن كل ما يفعله الإنسان إنما هو بتخطيط إلهي وأن كل ما يحدث إنما هو مشيئة الله التي لا يملك الإنسان في مختلف العصور إلا تنفيذها والالتزام بالدور المرسوم له من قبل العناية الإلهية منذ الأزل.

وبالطبع إن المؤمنين عموماً بهذه النظرية يؤمنون بأنه لا شيء يحدث بالصدفة وأن الفعل الإلهي في التاريخ واضح لا شك فيه، فكل ما نراه من مظاهر نتصور أنها فوضى

¹- جميل موسى النجار، فلسفة التاريخ، طبعة 1، القاهرة، مكتبة مدبولي 2011، ص 288.

²- موسوعة لالاند الفلسفية، خليل أحمد خليل، المجلد 2، ط2، منشورات تويدان، بيروت، 2001، باب العناية

إنسانية هي في الواقع من التدبير الإلهي المحكم الذي لولاه لم يكن للوجود ككل أي معنى ولم يكن للوجود الإنساني ضرورة تذكر¹ .

إن العناية الإلهية في نظر فيكو هي التي جعلت مسار التاريخ على ما هو عليه فقد كانت العناية الإلهية وراء كل الأحداث التاريخية فهي التي جعلت البشرية تنزلق في البداية في مزلق الشر والبربرية، وتعيش عصوراً مظلمة كلها صراعات بين الحق والباطل حتى تمهد لإنبثاق نظام جديد للبشرية وهذا النظام هو تأسيس الدين المسيحي الذي منه تشع سعادة الحياة الإنسانية، والعناية الإلهية لا تتشغل فحسب بما يتكون منه العالم الطبيعي الذي جعل التاريخ ممكناً ولكنها تهتم أيضاً بصفة التاريخ نفسه بوصفه منطوياً على مثل أعلى للحياة يتخذه الناس² .

إن البداية التي تعد نقطة انطلاق عند فيكو هي بداية مثالية، هذا ما غير عنه "كروتشيه في قوله": "فيكو من قماشة أفلاطون وليس من قماشة بيكون"³ .

هذا دليل على التأثير الكبير لفيكو بمثالية أفلاطون وهو لم ينكر هذا الفضل عليه من خلال سيرته الذاتية والتي نشرت سنة 1743م والتي أكدت أنه اقتبست تصورات معالجة التاريخ من أفلاطون، وإن أفلاطون الإلهي يؤكد بأن العناية توجه سير الشؤون الإنسانية⁴ .

وقد حاول فيكو جاهداً إقامة حد فاصل بين المنهج التجريبي في البحث، وفكرة العناية الإلهية ويؤكد أن العناية الإلهية التي حددت القانون الطبيعي للشعوب لأن الأمم عاشت قرون طويلة وهي عاجزة عن فهم الحق وعن فهم فكرة القانون الطبيعي والتي أوضحها الفلاسفة.

¹ - مصطفى النشار، فلسفة التاريخ، ط1، 2004، دار الأمل للطباعة والنشر، ص ص 72، 73 .

² - المرجع نفسه، ص 181 .

³ - كروتشيه، ثورة نابولي 1799، نقلا عن يحي هاشم الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص 281 .

⁴ - المرجع نفسه، ص 82 .

فيما بعد سمحت العناية الإلهية بأن تتمسك الأمم بقوانينها المدنية، بل أن تتمسك بما فيه هذه القوانين مهما ثبتت قسوتها عند تطبيقها¹ .

إن العناية الإلهية تسعى دائماً للحفاظ على بقاء الأمم واستمرارها وهذا الأمر دفع بأصحاب القانون الطبيعي في الإعتقاد بأن الأمم يترسخ فيها منذ نشأتها، هذا القانون وهذا الأمر من الصعب إدراكه دون الرجوع إلى ملكة العقل وتطوره لأن هذا العلم بمثابة اللاهوت يبرهن على العناية الإلهية بالوقائع التاريخية، ويرى فيكو أن ثمة تناقض بين قوله أن أحداث الحياة الإجتماعية من صنع الإنسان ذاته وبين حديثه عن العناية الإلهية في التاريخ وذلك لأنه يعتقد أن التاريخ يرجع في بعضه إلى حرية الإختيار الأكيدة التي تركت للناس إلا أن هذه الحرية لا يمكن أن تمارس إلا في إطار معين من العناية² .

والعناية الإلهية موجودة في أكبر مظاهر لها وهو الحياة الإجتماعية التي تتمظهر من خلال الوقائع التاريخية، ويدعو فيكو إلى العناية الإلهية التي يطلق عليها إصطلاحاً ملكة الشؤون البشرية في هذا القول: " أن يكون برهنة على العناية كواقع تاريخي يبدو وحينئذ بأن الدلالة الأساسية لفلسفته تتكون من الإيمان بمعنى إلهي ما وغاية مقدسة للتاريخ³ .

بمعنى العناية الإلهية تجعل من التاريخ مقدس وتجعل له بذلك مساراً يسلكه ويرى فيكو أن كلمة العناية في أصلها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالآلهة، ولا مجال للتفرقة والتي تدرس الخفايا وبأن مختلف هذه القوانين والتعاليم بأنها أمور مرفوضة من سلطة فوقية جاءت لخدمة الأمة والتي تؤدي بها إلى حياة عقلانية⁴ .

1- عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 76 .

2- هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 282 .

3- ماكس هوركهايمر، بدايات فلسفة التاريخ الوجدانية، محمد علي اليوسفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2006، مرجع سابق ، ص 81 .

4- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 165 .

وقد أوضح فيكو مستنداً على دلائل خلق العالم منذ القدم منذ "التوراة" بأن أبناء نوح بعد حدوث كارثة الطوفان فقد انقسم إلى قسمين: قسم يفني محافظاً على لغته، وقسم آخر عاش في الأرض أشبه بالحيوانات، وأصبحوا بذلك عمالقة وهذا ما دل عليه في قوله: "كان فيكو الكاثوليكي مضطراً من أجل اختراق العقيدة والى إعطاء المكانة الأولى في التاريخ للجنة وللخلق الإلهي غير أن رواية التوراة كحادثة الطوفان مكنته من عزل ذلك العصر الذهني خارج حدود العلم وطبقاً للحقيقة جعل التاريخ الحقيقي يبدأ من عصور الظلام إلى غرور الأمم¹ .

ومنه قد أساء فيكو إلى مختلف الشعوب واحتقارهم ووجه إهتمامه بالعناية الإلهية إلى كل من اليهودية والمسيحية كونهم شعوب راقية² .

المبحث الثالث : مبادئ العلم الجديد وخصائصه

تتركز فلسفة فيكو في أهم مؤلفاته "العلم الجديد في الطبيعة المشتركة للأمم" ويتناول القسم الأول منه الجانب النظري من العلم الجديد ويتضمن ثلاثة موضوعات رئيسية: الأصول المبادئ ثم المنهج.

3-1 الأصول: فتحتوي مجموعة من المسلمات أو البديهيات التي يلتزم بها الباحث أو يفترضها عند دراسة تاريخ تطور الشعوب بصفة عامة والقديمة منها بصفة خاصة، فهي القواعد التي يجب أن يقوم عليها البناء التاريخي، وقد قدم فيكو مجموعة من المسلمات الفلسفية واللغوية يبلغ عددها مائة وأربعة عشر مسلمة، وعلى الرغم من كثرة المسلمات وتنوعها إلا أنها تتناول بعض الأفكار الرئيسية الهامة التي يكاد فيكو أن يؤكدتها في كل سطر من سطور مؤلفته، وأهم هذه الأفكار أن الإنسان هو صانع تاريخية وأنه يستطيع أن يعرف إلا ما يصفه بنفسه، وهذه هي الفكرة الرئيسية التي تقوم عليها نظرية المعرفة عنده ومن الأفكار الهامة أيضاً التي تكشف عنها هذه المسلمات فكرة أن البداية التاريخية كانت

¹ - ماكس هوكهايمر، بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، مرجع سابق، ص 83.

² - المرجع نفسه، ص 284 .

بداية شعرية، فالأشعار والأساطير كانت سجلاً مدنياً لتاريخ الأمم والشعوب والعلم الجديد يدرس تاريخ الأفكار البشرية ليجد في النهاية أن هناك تاريخاً مثالياً أبدياً مرت به كل الشعوب - كل على حدى - في مرحلة نشأتها ونموها وتطورها ثم تدهورها وسقوطها ¹ .

3-2 المبادئ : هي التي اكتشفها العلم الجديد في كل المجتمعات البشرية وتتمثل في الدين والزواج ودفن الموتى، أما عن المنهج فقد حدد فيكو منهج علم التاريخ بالنسبة لمنهج العلوم الأخرى كالرياضيات والعلوم الطبيعية لإختلافه عن كل منهما، ويتناول القسم الثاني من العلم الجديد الحكمة الشعرية، وهو يؤكد على شاعرية الشعوب الأولى وهو الجزء الذي أفرده فيكو لمناقشة كيف أن مؤسسي الشعوب والنظم البشرية كانوا في الأصل شعراء بالفطرة مثل: هوميروس، أوكانو حكماء يفكرون من خلال تصورات خالية وهذا هو منتج "العلم الجديد" الذي اكتشفه فيكو والذي حاول أن يثبت فيه أن حكمة القدماء كانت شعبية ولم تكن فلسفية، شعرية لا عقلية عملية لا نظرية ² .

إن فيكو بكتابة "مبادئ علم الجديد" يظل رائداً في توجيه نحو واقع الإنسان من خلال تجربته التاريخية لا يقل منهجه التاريخي عن منهج بيكون في البحث الفيزيائي ومنهج كونت في علم الاجتماع ³ . بعد أن وفق في وضع مبادئ علمه إعتماً على التزاوج بين الفينولوجيا والفلسفة وبالرجوع إلى تاريخ الكلمات والأشياء، فكان لأفكاره صدى ومكانة لدى الباحثين في علوم الإنسان من خلال ما أسهمت به مدرسة الحوليات من دراسات إنسانية ⁴ .

¹- Vico, GB, New science, trans by Thomas Goddard Berign Harold Fisch, New york, Cornell University, Press, 1969. P24 نقلاً عن عطيات أبو السعود.

²- I. bid, P24 نقلاً عن عطيات أبو السعود.

³- محمود الشرقاوي، أدب التاريخ عند العرب، الجزء الأول، ص 79 .

⁴- ول ديورانت، قصة الحضارة، منظمة الثقافة العربية، القاهرة، 1985، المجلد الخامس، الجزء الأربعون، ص 69 .

حدد فيكو القواعد التي يجب اتباعها لدراسة أصول التنظيمات البشرية، وإذا كان قد عارض المنهج الرياضي لديكارت إلا أنه لم يرفضه لذاته ولكنه رفض تطبيقه في مجال التاريخ، وحدد منهج علم التاريخ بالنسبة لمنهجي الرياضيات والعلوم الطبيعية ولم يكن تحديد فيكو لمنهج علم التاريخ أو موضوعه وليد نظرية نقدية لمناهج وموضوعات العلوم الأخرى فحسب بل أسهمت عدة علوم في تشكيل نظريته إلى منهج علم التاريخ وموضوعه أهمها دراسته اللغويات فالاشتقاقات اللغوية تكشف عن أسلوب الحياة والتفكير لدى شعب ما، والتعرف على طريقة شعب ما، أو أسلوب حياته يستلزم دراسة اللغة وتتبع التطور الذي طرأ عليها خلال عصور التاريخ كما تنص على ذلك المسلمة رقم 16 "الإرث الشعبي له أسس مشتركة بفضلها ظهرت التقاليد للوجود واحتفظت بها شعوب كاملة لفترات طويلة من الزمن" كما تنص عليها المسلمة رقم 17 على أنه "ينبغي أن تكون اللغات الشعبية شواهد عظيمة" الشأن من العادات القديمة التي كانت تمارسها الشعوب في الوقت الذي نشأت فيه هذه اللغات¹.

وإذا كان فلاسفة العقل لا يعترفون بشيء واحد بين البشر سوى العقل الذي يفترضون أنه مشترك بين الجميع وأن ما هو خيال وانفعالات فهو حسب الفرقة بين البشر فإنهم ينقلون هذا العقل عن طريق الفكر إلى فجر البشرية لعجزهم عن تكوين فكرة عن الأشياء البعيدة والمجهولة ومن ثم يتصورونها على نمط الأشكال التي يعرفونها وهذا ما أكده فيكو في المسلمة رقم 1، من مسلمات علمه الجديد والتي تنص على: "أن العقل الإنساني يجعل من نفسه مقياساً للحكم على الأشياء جميعاً كلما ظل في الجهل". ويؤكد هذا المعنى

¹⁻ Vico, GB, New Science trans by thomas Goddard Berign Harold Fisch, New York, Comell University Press, 1969, P24. نقلا عن عطيات أبو السعود.

أيضاً في المسلمة رقم 2 والتي تنص على أن الحكم العقل البشري على الأمور المجهولة والبعيدة على أساس الأمور المؤلوفة له والقريبة منه ¹.

وقد حاول فيكو أن يقلب هذه الآراء معتمداً على فقه اللغة، وذلك لكي يثبت أن بين البشر وحده لا تقوم على العقل، فالسمة الأساسية في تفكيره هي بغير ذلك الجهد الذي بذله لإثبات أن كل العلاقات الاجتماعية كانت في أحد العصور القائمة على معتقدات ترجع إلى الخيال، بل إن هناك حساً مشتركاً أو حكماً بغير تأمل يمكن أن نجده عند كل الطبقات وكل الشعوب بل والجنس البشري بأكمله، فالأفكار الواحدة تنشأ في نفس الوقت عند الشعوب بأكملها، يجهل بعضها بعضاً وهناك قوانين واحدة ومشاركة بين الأمم لا تتبع من العقل، وهذا ما تنص عليه المسلمة رقم 13 التي تنص على: "أن نشأة الأفكار المتشابهة عند شعوب مختلفة لا يعرف بعضها بعضاً، لا بد أن يكون لها أساس مشترك من الحقيقة ² .

وضع فيكو نظرية جديدة في المعرفة التاريخية يعارض بها نظرية ديكرت للمعرفة تقوم هذه النظرية على مذهبه في الحقيقة وهي أن الحق والفعل مترادفان فالشرط الضروري لمعرفة أي شيء معرفة حقيقية هو أن يكون العراف قد صنعه بنفسه ويكون ولديه اليقين بهذا المعنى: "أخلقوا الحقيقة التي تريدون معرفتها، أما أنا فسوف أقوم أثناء التعرف على الحقيقة بصنعها بطريقة لا تدع مجالاً للشك فيها مادمت أنا الذي انتجتها بنفسني" ³ .

¹ – Vico, GB, New Science trans by thomas Goddard Berign Harold Fisch, New York, Comell University Press, 1969, P8. نقلا عن عطيات أبو السعود.

²– I. bid, P22 .

³– Vico, GB, on the study Methods of our time transe, by E lio G ianturco. New York 1965, P xxx. نقلا عن عطيات أبو السعود.

وهذا النمط من المعرفة المباشرة ليس إستقرائياً واستنباطياً ولكنه نسيج وحده ذو طابع فريد ومتميز ويمكن وصفه وتحليله بعوامله الذاتية، كما نتعرف عليه من تجربتنا عندما نرى حياتنا من الداخل وتؤكد نظرية فيكو للمعرفة جانبيين الذاتية والموضوعية بمعنى أن هناك نوعاً من الجدل بين الفكر والواقع فالإنسان يوجد تنظيمات جديدة، فتأكيد الذات البشرية مسألة أساسية لأنها هي الذات التي صنعت التاريخ.

خلاصة نظرية المعرفة عند فيكو أن العقل يعرف نفسه من خلال دراسة الأشغال التي يظهر فيها، فهو يظهر مثلاً في التنظيمات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والفن والقانون واللغة.... إلخ، أي يتجلى في كل مظاهر الحضارة، وبهذا يعد فيكو أول من قدم نظرية تاريخية عن حقيقة التغير من خلال تفسيره للتاريخ الذي يتألف من أحداث ووقائع ومؤسسات إجتماعية تعبر عن أحوال العقل يصبح هذا العقل نفسه موضوعاً للمعرفة.

لقد أراد فيكو أن يجعل من العلم الجديد علماً بشرياً على نمط العلوم الطبيعية، بل أن منتجات هذا العلم البشري أكثر قابلية للفهم والتعقل من أي علم طبيعي لأن العلم الجديد يعتمد على الصنع البشري ومعرفتنا بهذا الصنع تنطوي على المعرفة بتحويلات العقل وهي معرفة يحققها الإنسان عن طريق نوع من التأمل الذاتي فمعرفة العالم البشري ممكنة لأن الإنسان هو الذي صنع محتوياته، بل إن المبدأ الأول الثابت عند فيكو يفترض أن الإنسان بالتأكيد هو الذي صنع عالم الأمم.

والتاريخ يكون أكثر يقيناً عند ما يرويه صانع الأحداث نفسها، ولهذا يستطيع البشر أن يفهموا العالم الذي صنعوه بأنفسهم لأن المبادئ التي قام عليها يمكن إعادة اكتشافها في داخل العقل البشري أي في نطاق التحويلات التي تعرض لعقل من يتأمل ذلك التاريخ الماضي ويتم التعرف على هذه التحويلات عن طريق التأمل الذاتي¹.

¹ - Vico, GB, New Science trans. P22 .

3-3 المنهج:

وهو منهج فيكو في دراسة التاريخ ويعتمد على الإستنباط كشكل من أشكال التفكير ولكن الإستنباط عنده ليس بالمعنى المفهوم في التحليل النفسي، وإنما هو استنباط للذات التاريخية أي إعادة بناء نقدي للفكر الماضي.

يفضي هذا إلى أن تاريخ التنظيمات البشرية يتحدد بتطور الطبيعة البشرية، لم يتصور فيكو العقل كماهية مستقلة ولم ينسب له أي قدره ذاتية على التطور ولم يجعله سبباً من أسباب التطور التاريخي إن العلة الأساسية للتغير الإجتماعي محددة وهذه الطبيعة البشرية التي ينشأ عنها كل شيء لا توجد منعزلة عن شبكة التنظيمات البشرية التي أوجدتها فهي ليست متعالياً على عادات البشر وقوانينهم، والبشر أنفسهم في مرحلة معينة هم التعبير الحي عنها وتاريخهم هو تاريخها والطبيعة البشرية التي هي علة التطور التاريخي ليست جوهراً ثابتاً مطلقاً بل طبيعة متغيرة ومتطورة، والتطور التاريخي عند فيكو ليس دائماً تطوراً إلى الأمام، فهناك عصور انهيار وتدهور في مسار التاريخ يعقبها عصور إزدهار من جديد، وهذه فكرة مختلفة عن فكرة التقدم كما سادت في عصر التنوير وهو نفس العصر الذي ينتمي إليه فيكو وإن اختلفت نظرتة إلى التقدم عن نظرة فلاسفة هذا العصر.

ومما لاشك فيه أن فيكو اهتم بمشكلة التقدم فقد كانت من أكثر المشاكل التي تناولها بالدراسة العميقة واهتم بالظروف التي تسبب التقدم العقلي في التاريخ البشري، كما إهتم أيضاً بالظروف التي تنحدر به نحو الفساد، لم يحصر الجنس البشري في مبدأ الوحدة كما فعل فلاسفة عصر التنوير ولم ينظر للتقدم كضرورة تاريخية يفرضها تقدم العقل¹.

وخلاصة القول أن فيكو بكتابه مبادئ العلم الجديد يظل رائداً في توجيه الدراسة نحو واقع الإنسان، فالأفكار الرئيسية في فلسفة فيكو تعوزها الروح العلمية كما أن تقييمه للحضارات القديمة يشوبه التعصب الديني وليس ذلك ما ينقص من نظريته فحسب بل إذا تعرضت قصص العهد القديم للنقد التاريخي كما حدث في عصر التنوير، وإن أي نظرية في فلسفة التاريخ لم تتصف بالعلمية حتى تتحرر تماماً من تقييم العهد القديم للحضارات القديمة العريقة¹.

المبحث الرابع : أطوار الحضارة عند فيكو

قبل التفصيل في نظرية فيكو الحضارية علينا أن ندرج تعريفاً للدورة الحضارية عنده. لقد استندت وجهة نظر فيكو للحضارات وتعاقبها على ملاحظات عديدة لاحظها من أهمها أن عصور التاريخ تبدوا في نظره كما لو كانت ذات خصائص عامة.

فمع أن لكل عصر طابعه النوعي الذي يتضح في تفصيلات فإن بين العصور المختلفة خصائص مشتركة لفترة هوميروس على سبيل المثال في التاريخ اليوناني تشابه العصور الوسطى من حيث الملامح وعصر البطولة من حيث الحكم ذو الطابع الإستقرائي والأدب والطابع الغنائي في الشعر حيث يغلب على الأخلاق طابع الولائي².

حيث تقوم فلسفة التاريخ عند دعاة نظرية التعاقب الدوري على أن دراسة الماضي دراسة متفحصة قد ساعد على فهم الحاضر والمستقبل ويروا بأن للحضارات أعمار محددة كما هو الحال عند الكائنات الحية وأن مراحل حياتها تبدأ بالطفولة ثم الشباب ثم الكهولة وتنتهي بالموت، وأن معرفة مرحلة تاريخية من عمر الحضارة تمكن المؤرخ من تقديم عمر الحضارة، وذلك من خلال دراسة الأدوات تختلف من عصر لآخر تبعاً لتطور مسيرة الحضارة في كل أمة³.

¹ - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 106.

² - مصطفى حسن النشار، فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 179 .

³ - حسين محسن محمد، طبيعة المعرفة التاريخية، دار الثقافة والنشر، مصر، 2004، ص 12 .

استندت نظرية التعاقب الدوري للحضارات التي قدمها فيكو إلى ثلاث مسلمات كانت نواة انطلاق النظرية ويمكن انجازها على النحو التالي:

على الرغم من أن لكل عصر له طابعه النوعي إلا أن هناك خصائص مشتركة بين العصور التاريخية.

كل فترة تاريخية تتبع فترة أخرى على نفس الخط ففترات البطولة تعقبها فترة يسود فيها الفكر على التخيل والنثر على الشعر.

الحركة الدائرية بين هذه الأدوار، ولا يعني هذا أن مسار التاريخ يسير في دائرة مغلقة تدور حول ذاتها وإنما هي حركة دائرية حلزونية، وهذا ينفي أن فكرة التاريخ يعيد نفس النمط، وإنما يوتي بصورة جديدة وكل شيء مخالف لما مضى¹.

ويرى فيكو أن هناك مظاهر مشتركة بين الأمم، فكل أمة تؤمن بديانة ما ويعارض الفكرة التي تقول بقدرة الأمة أن تعيش حياة عادلة من غير الدور الإلهي المتمثل بالدين ويؤكد على أهمية طقوس الزواج التي تعد ميزة له عن أي سلوك غير سوي يحكم مسألة ضبط العوائق بين الجنسية من أفراد المجتمع في أي حضارة إنسانية. وأن الأمة في كل حضارة تتفق أيضاً على دفن موتاهم ويعد هذا التصرف دليل إنسانية الإنسان².

ويذكر فيكو المراحل الثلاثة لتطور الشعوب "أنها قانون بديهي ضمن أوليات العقل وهو في نفس الوقت يذكر هذه المراحل الثلاثة وقد ذكرها المصريين في تصورهم للإنسانية وتطورها قبلهم وهذه المراحل الثلاثة تمثل عصورنا ثلاثة لتاريخ كل شعب³.

وأول هذه المراحل الأساسية هي:

1-4 عصر الآلهة: يبدأ هذا العصر حينما تبدأ أمة من الأمم في الخروج تدريجياً في حالتها البدائية "البربرية" لتدخل في هذا العصر ويتميز هذا العصر بسيادة الخرافات

¹- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 59 - 60 .

²- عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 79 - 80 .

³- حسن الحنفي، دراسات فلسفية، مرجع سابق، ص 55 .

والخوف من الظواهر الطبيعية التي تعد في نظر الناس تعبيراً عن إرادة الآلهة في حالة الرضا والغضب¹ .

ويشير فيكو إلى عدة بديهيات في هذه المرحلة والتي مفادها أن الدين طبيعي في البشر وأن لكل شعب آلهة وأنه ينشأ من الخوف والجهل والخرافة أو الدهشة بالتالي فإنه إختراع الإنسان فالإنسان حيوان متدين² .

وهنا يشير فيكو أن الخوف الذي ينتاب الشعوب هو السبب الأول لإيجاد الآلهة في الأرض وذلك راجع لضعف هؤلاء الأمم وعدم قدرتهم على التفكير وتطوير أنفسهم ولهذا يعد الدين "هو أول مبادئ العالم الجديد ويلقي الضوء على نشأة التاريخ البشري والتنظيمات الإجتماعية"³ .

وهذا ما أكده مفيد الزيدي أيضاً في كتابه: "مدخل الى فلسفة التاريخ مؤكداً أن التاريخ الحضاري للبشر يمر بمراحل والمرحلة الأولى هي الآلهة أو دور الآلهة ويكون فيه الكهنة ورجال الدين هم المحرك للتاريخ، وربما أن فيكو قد قرأ تاريخ الحضارات القديمة باعتباره الزعيم السياسي كان هو الزعيم الديني"⁴ .

وأيضاً عصر الآلهة هو فترة التدين أو الإيمان بالألوهية وهو العهد الأسطوري في حياة الأمم الذي تتحكم فيه القوة الغيبية في حياة الناس، وتنسب فيه القوانين إلى الآلهة ويعيش فيها الإنسان في ظل حكومة الآلهة تتحكم فيها أوامر عن طريق الوحي، وتتصف بالذاتية باعتبار أن كل ما في العالم ملكاً للآلهة عن طريق ممثليها وهم الكهنة، وهذا ما يضيف على نظام الحكم طابعاً ثبوقراطياً⁵ .

¹ - هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 284.

² - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 55.

³ - المرجع نفسه، ص 57.

⁴ - مفيد كامل الزيدي، المدخل، المدخل إلى فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 113 .

⁵ - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص ص 161-164 .

4-2 عصر البطولة:

في هذه المرحلة تم الانتقال من مرحلة الآلهة إلى مرحلة جديدة تسمى بعصر الأبطال، هذا العصر ينتقل المجتمع من عصر الآلهة إلى عصر البطولة إنتقالاً تدريجياً مما يساعد في عملية الانتقال هو اتحاد مجتمعات متعددة بعضها مع البعض من أجل مواجهة عدد من الأخطار الداخلية والخارجية¹.

لقد مثل هذه المرحلة التاريخية مجموعة من الشخصيات القوية والعامّة التي تحرك التاريخ فالحكم كان بيد أبطال أشداء محاربين يعتقد الناس أنهم أسمى من البشر وتسود الأستقرائية نظام الحكم، وفي هذا الدور نشأت الفروسية والحروب الصليبية².

حيث قاد المجتمع من الأبطال والأقوياء القادرين على خوض الحروب وممارستها من أجل التوسع وكان الحكم للطبيعة المالكة التي لها القوة العسكرية والقوة السياسية معاً وقسم المجتمع إلى قسمين طبقة العبيد والنبلاء الحاكمة ففي هذه المرحلة التي يدعوها فيكو تظهر الطبقات ومن ثم الدول وينتظم الأبطال أي الإشراف في نظم العسكرية ضد الإبتاع لحماية بنية الملكية والدفاع عن أنفسهم ضد أولئك الذين لا يمتلكون شيئاً³.

ويضيف فيكو مساهمة أخرى مفادها "أن الحكومات الأستقرائية على ثورة النبلاء بأن الثورة عنصر من عناصر القوة هذه الطبقة كما أن الحكومات الأستقرائية لاتميل للحروب لكي لا تجعل جنوداً محاربة⁴.

وبهذا ظلت الفئات الأستقرائية في نزاع دائم كونها لا تمتلك قانون مدنياً ينظم علاقتها، بل تستمد في حكمها الدائم إلى قانون همجي وما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، وذلك لأن حكم الأبطال والذي يعتقدهم البشر أسمى الناس.

¹ - هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 284.

² - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 160.

³ - ماكس هوركايمر، بدايات في الفلسفة التاريخ الوجدانية، مرجع سابق، ص 88.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 70.

وقد إستدل فيكو بنص هام ضمه في كتاب أرسطو إستند فيه بالماليك البطولية حيث كان الملوك يطبقون الأحكام والقوانين وتوكل لهم قيادة الحروب، وكانوا في الوقت نفسه رؤساء الكنائس وإن كتاب السياسة لأرسطو يقر فيه أن أغلب الجماعات لم يكن لديها قوانين محددة تقوم بحماية الأفراد من كل أنواع الظلم والإستبداد كما كان سائداً في الشعوب البربرية التي اتضحت بالهمجية ولم تعرف القانون أو النظام مطلقاً لأن السياسة عند أرسطو تجعل من الأبطال أعداء دائمين للعامّة¹ .

وانطلق فيكو من هذه المرحلة ليوضح نشأة النظم الملكية كونها أولى الأحكام البشرية وعليه فقد كان تحليل فيكو لهذا الصراع الطبقي بين طبقة النبلاء والعامّة والشعب وقد سبقه في هذا الطرح ماركس في فكرة صراع الطبقات الذي يؤدي بدوره إلى حدوث ثورة وتسود نظام جديد كلي غير دائم ليظهر صراع الطبقات جديدة لأنه حسب ماركس يحمل في طياته بذور فنائه² .

وتمثل أيضاً في نظر فيكو مرحلة القوة في حياة الشعوب حيث تحدث التغيرات بفعل الأبطال أشباه الآلهة، حيث يظهر في هذه المرحلة الفترة مؤسسوا المدن التي يكون فيها النفوذ للجماعات³ .

فدور الأبطال يكمن في حماية الدولة من أي عدوان خارجي كونهم يمثلون الفئة الشجاعة والقوة ومنه كان النبلاء هم الأبطال المحاربون والذين لهم الشرف للبطولة لأن في نظر فيكو أن من الأقوياء أن ما كسبوه بالقوة لا يتخلون عنه بسهولة أو لا يترددون في الدفاع عنه وإنما يتخلون عن جزء منه عندما تقضي الضرورة بالتدريج وفي أضيق الحدود الممكنة⁴ .

¹ - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 70 .

² - المرجع نفسه، ص 72.

³ - مونييس بحضرة، تاريخ الوعي، ط1، مطابع الدار العربية للعلوم بيروت، 1430، 2009، ص 171 .

⁴ - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 69 .

3-4 عصر الإنسان:

وهنا يبدأ هذا العصر حينما تتجع جماهير الشعب في الحصول على حقوق المواطنة ولكي تصبح أهم سمة لهذا العصر هي الديمقراطية والإعتراف بالمساواة بين البشر، وكما تميز هذا العصر بالعقلانية والتطلع إلى السيطرة على الطبيعة وتسخيرها من أجل خدمة الإنسان، وتظهر آثار هذه السمات على القانون فتوضع القوانين الأنظمة على أساس من العقل والمنطق، كما تظهر في اللغة والأدب، حيث تسود اللغة الشعبية وتختفي اللإزدواجية بين لغة الحديد ولغة الكتابة¹.

فهذه مرحلة النمو والنضج كما يراها فيكو كونها تأسس بنيانها على مقتضيات ومتطلبات العدالة من جهة وفكرة العقل من جهة أخرى والإنسان هو الذي يسير مختلف الأحداث والقضاء على مختلف الأفكار الخرافية والأسطورة السابقة ليكون مطابقا مع مختلف التصورات كاللغة والأدب وبذلك يقول فيكو وأخيرا تأتي المرحلة البشرية. فنجد المساواة في الحقوق أمام القانون وحصول كل إنسان على حقوقه الطبيعية المشروعة في ظل حكومات ديمقراطية شعبية حققت المساواة بين طبقة النبلاء وطبقة العامة وأُعترفت بحق هذه الطبقة الأخيرة في المشاركة في نظام الحكم وكانت اللغة في هذا العصر لغة شعبية غلب عليها النثر².

فهذا العصر يختلف إختلافا جوهريا عما قبله ففيه يبدأ الإعتراف بفكرة المساواة في الحقوق بين الناس وتصبح أهم ميزة يتميز بها هي الديمقراطية أي يصبح الناس أو المواطنين بتعبير أصح أحرار، حيث يصبح نظام الحكم للأغلبية، ويظيف فيكو في قوله: "إن البشرية أو الإنسانية تتميز بالعقل والتواضع والشعور بالواجب ومعرفة قوانين الوعي والضمير"³.

¹ - هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 285.

² - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 96.

³ - المرجع نفسه، ص 97.

أي سقوط مختلف التنظيمات القهرية "الديكتاتورية" وكل الأنظمة الديمقراطية كحل بديل قائمة على قيم العدالة والأخوة والمساواة.

أي يبدأ عصر الإنسان بالدخول حينما تتطرق الجماهير في المطالبة بحقوقها فيزداد الصراع بين الطبقات وتفكك العلاقات الاجتماعية مما يؤدي إلى ضعف القيم الاجتماعية التي كانت سائدة كما يستهد الفكر طاقة الإبداعية ويتحول إلى مظاهر جوفاء فاقدة للحياة فإذا وصل المجتمع إلى هذه الحالة أذنت الدورة الحضارية كلها على الإنتهاء وتكون هذه النهاية عادة إما عن طريق غزو أجنبي من الخارج أما الإنحلال الإجتماعي الشامل يكون من الداخل¹.

فهذه المرحلة ليست أبدية بفعل ظهور صراع الطبقات من جديد والأنظمة السياسية الفاسدة وعلى قدرة المجتمع على مقاومة الغزو الأجنبي من الخارج وإنحلال المجتمعات من الداخل، ومنه يتنبأ فيكو بسقوط هذا العصر إنطلاقاً من فكرة المساواة بين جميع أفراد المجتمع مما يؤدي إلى المطالبة أكثر بالحقوق وهذا الأمر الذي ربما أدى إلى نشوب صراع جديد دون القدرة على التحكم فيه وتحقيقه والذي ينتج عن ضعف الروابط الاجتماعية وكثرة الحروب والفتن.

هنا يبدأ المجتمع دورة حضارية جديدة ذات ثلاثة عصور، عصر الآلهة، عصر الأبطال، عصر الإنسان، إلا أن هذه الدورة السابقة وإن اتفقت معها في المسار والملاح العامة².

وفي هذا السياق يضيف "هوركمايمر" ويعد الملكية البدائية تأتي الجمهورية الأرستقراطية أولاً ثم ديمقراطية وتليها الإمبريالية وأخيراً الإنحطاط وتكون طباع الشعوب في البداية فضة ثم قاسية وديعة ثم لطيفة وأخيراً تكون منحلة وهكذا فإن فيكو مقتنع

¹ - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 285.

² - هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 285.

بدوره مثل ميكيا فيلي فكل دورة يعقبها بالضرورة سقوط جديد من البربرية وبداية بدورة جديدة¹ .

ويطبق فيكو أراءه على تاريخ اليونان والرومان ثم العصور الوسطى فيرى أن دور الأبطال لم يستمر طويلاً لدى اليونان لأن ظهور الفلسفة عجزت بالانتقال من الدور الإلهي إلى الدور البشري دون أن يبقوا مدة طويلة في الدور البطولي على عكس ما حدث لدى الرومان، إذ قال عن الدور الإلهي، ثم عاد الناس في العصور الوسطى إلى بربرية شبيهة بالبربرية الأولى فاجتازوا دوراً بطولياً عند ما نشأت الفروسية وقامت الحروب الصليبية، أما الدور الثالث فقد بدأ في العصر الذي عاش فيه فيكو² .

استخلص فيكو مبادئه في الدورة التاريخية وملاحظاته من عصورها الثلاث من نظريته للتاريخ اليوناني والروماني، وما عرفه من حضارة المصريين القدماء خاصة فكرة التصنيف الثلاثي للعصور والظواهر الحضارية، كما أن قراءاته لأفلاطون ومفكري العلماء النهضة الإيطالية، خاصة إطلاعه على أفكار بيكون³ جعلته يرى أن طبيعة الأشياء هي التي تصنع تاريخها وهي التي جعلت العالم البدائي يختلف عن العالم الحديث⁴ .

¹ - ماكس هوركهايمر، بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، مرجع سابق، ص 92.

² - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 107 .

³ ألبان ويدجيري، التاريخ وكيف يفسرونه، مرجع سابق، ص 140 .

⁴ - I Saish Berlin Vico and Herdes « Two studies in The History of Ideas The Hogarth press landon, 1976, P,P, 103,122. نقلا عن عطيات أبو السعود.

الفصل الثالث: أثر العلم الجديد وقيّمته

- المبحث الأول: تأثير هردر بفلسفة التاريخ ليفكو
- المبحث الثاني: تأثير بندتو كروتشيه بفلسفة التاريخ عند

فيكو

- المبحث الثالث: تجاهل فولتير لفلسفة فيكو
- المبحث الرابع: المشاكل النظرية في فلسفة التاريخ عند فيك

المبحث الأول: تأثير هرذل بفلسفة التاريخ عند فيكو

في هذا البحث نحاول أن نبين مدى تأثير هرذر بفلسفة التاريخ عند فيكو ونبين أهم الأفكار التي تأثر بها من خلال فلسفته التاريخية.

ولد هرذر عام 1744 في *بروسيا الشرقية وهي أيضا موطن كل من كانط و**هامان⁷، وكلاهما كان له تأثير عليه وعلى الرغم من إنكار هرذر معرفته بفيكو إلا بعد عشرين عاما من وضعه لفلسفته التاريخية⁸.

هذا بالإضافة إلى أن هرذر رحل إلى إيطاليا عام 1789 ومكث في نابولي مسقط رأس فيكو وموطنه ثمانية أيام حصل خلالها على مادة فلسفته التاريخية، وعلى الرغم من تأثيره بفكر وفلسفة فيكو فمزال هذا التأثير يفتقر حتى الآن إلى الدليل المادي ومع ذلك فإننا نجد الدليل الفكري في آرائه في التاريخ التي تشابهت إلى حد بعيد مع فلسفة فيكو الذي سبقه على الطريق الذي تصور هرذر أنه لم يسبقه أحد في السير عليه، لذلك فمن المرجح أنه عرف فيكو قبل الشروع في كتابة مؤلفه "أفكار فلسفة التاريخ الجنس البشري" عام 1791 بعد أن أصدر كتابه "فلسفة أخرى للتاريخ عام 1774⁹.

وكان هرذر أول من نادى بفهم الكائنات البشرية ونشاطاتها عن طريق الإستشعار من الداخل أو الباطن كما لا تفهم الحضارات القديمة بالتحليل المنطقي بل بالحدس، ولا بد للمؤرخ أن يكون فنانا يتمتع بالحس التاريخي لذا حذر هرذر المؤرخين كما سبق وحذر فيكو من الحكم على العصور التاريخية المبكرة على أساس ثقافة عصرهم وحثهم على

1-Vico, GB, New Science P22 .

* بروسيا الشرقية : منطقة موجودة في ألمانيا.

** هامان : "1730-1788"، مفكر ألماني ، نشأ في عصر عقلائي .

2-Vico, GB, Antobegraphy, Trow by Fish "Bergin TG shes New York Connell

university Press 1962 P23. نقلا عن عطيات أبو السعود .

3- نف إيمري، المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق إسكندر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1947، ص21.

ماسماه بالتعاطف مع هذه العصور ومشاركتهم أفكارهم البدائية مشاركة وجدانية في قوله:
" أدخل إلى صميم العصر وفي جغرافيته وتاريخية كله واشعر بأمل تعيش فيه حقاً" ¹ .

وفلسفة هرذر التاريخية ترفض وجود قوانين ثابتة لحركة التاريخ كما ترفض أيضاً وجود مستويات للوعي والسلوك يمكن تطبيقها على كل البشر وفي كل العصور، أنها ترفض أن تفرض على المادة التاريخية نموذجاً موحداً للتفسير، فقد كانت منهجية هرذر تقوم على أن كل عصر تاريخي وكل حضارة لديها سمتها الخاصة وقيمتها الخاصة، وأن المجتمعات الإنسانية ليست شكلاً واحداً بل لها أشكال متعددة وأن كل مجتمع سواء كان صينياً أو هندياً أو مصرياً قد نما وتطور بطريقة متميزة، واستجابة للظروف المحيطة به في أزمنة وأمكنة خاصة ² .

إنطلق هرذر في فلسفة التاريخ من الأشكال التعبيرية الأولى للمجتمعات البشرية القديمة، كاللغة والأسطورة والفنون وهي الأصول التاريخية لبدايات الحضارة الإنسانية وكان لابد في رأي هرذر من العودة لهذه الأصول لمحاولة فهم العقول البدائية للبشر الأولين، والتعرف على التنظيمات المختلفة التي أسماها الإنسان الأول والتي انتقل بفضلها من حالة بربرية والتوحش إلى مرحلة الإنسانية، وكيف تناول هرذر هذه الأصول التاريخية ؟ .

لقد اهتم اهتماماً خاصاً باللغة وهي أول شكل من أشكال التعبير البشري، وقدم أبحاثاً في اللغة الألمانية واستقرت أبحاثه عن تأكيد نتيجة سبق ليفكو أن أكدها وهي أن الشعر هو اللغة الأم التي سبقت النثر، ولقد عبر الإنسان الأول عن إحتياجاته اليومية بشكل شاعري تلقائي فنشأت الأغاني الشعبية للشعوب القديمة وهي كما يرى هرذر أول

¹ - نف إيمني، المؤرخون وروح الشعر ، مرجع سابق ، ص 21 .

² - نقلا عن عطيات أبو السعود. Edwards, Paul, The Encyclopedia, Ibid, P.P488-489 .

شكل من أشكال التعبير اللغوي ويرى أن هناك شكلاً آخر من أشكال التعبير الأولى وهو الأسطورة، فقد كانت الشعوب القديمة تتحدث بالشعر وتفكر بالأساطير.

ولم تكن الأساطير حكايات خرافية يقوم بها الإنسان الأول بل كانت الأسطورة رمزاً يعكس الحياة العقلية والاجتماعية لهؤلاء البشر¹.

لأسباب سابقة دعا هردر إلى الحفاظ على الثقافات والحضارات البدائية التي تقدم نافذة منفردة عن العالم والشعوب في رأيه هم مؤلفو الأغاني والملاحم والأساطير والقوانين والأعراف والتقاليد واللغات، ويعد هردر هو المؤصل الحقيقي للكلمات مثل: روح الشعب وروح القومية وهي الكلمات التي أخذت منحى آخر مع هيجل ومن جاء بعده وكانت سببا في ظهور نزعات قومية عرقية نسب الخطأ إلى هردر استبقاه لها، ونسبت له أفكار لم يقل بها، فالواقع أن ما يستخلص من كتابات هردر هو أن كل أمة يجب أن تحترم ثقافة المجتمعات الأخرى ولا تزعم لنفسها وضع الإمتياز الذي يخول لها السيطرة على جيرانها ولا تدعي سمو شعب وثقافة معينة على الشعوب والثقافات الأخرى².

لقد كان هردر أول من وجه الأنظار بعد فيكو إلى الإهتمام بتراث الشعوب التي لم تفقد قوتها وأصالتها اللغوية، وأخذ يدعو بحماس شديد لجمع الأغاني الشعبية الألمانية، كما دعا إلى البحث في أغاني الشعوب البدائية التي تعبر عن حياة هذه الشعوب وطبيعتها الخاصة.

وقد كان أول من لفت الإنتباه إلى جمع أساطير الشعوب وأغانيها وحكاياتها وقصص أبطالها وصياغتها صياغة جديدة لإكتشاف القوى الكامنة في أغوار اللاشعور والموجودة في التراث الشعبي الذي هو من إبداع الشعوب نفسها ويكشف عن الطبيعة البشرية الكامنة فيها.

¹- نف إيبري، المؤرخون وروح الشعر، مرجع سابق، ص 21 .

²- Berlin, isiah vico and herder, London h new york hagorth Bress 1976, P.P195, 196

وقد اتسمت نظرتة إلى التاريخ بالإزدواجية بين الإيمان بأن الخلاص يكون في العودة إلى الأصول الشعرية والأعماق الباطنة والذاتية.

والشيء الثابت والأصيل في فلسفة هردر هو مفهوم "الفهم المتعاطف والإستشعار في النظر إلى ماضي أية أمة وتراثها الشعبي الأصيل" ¹.

رغم إنتماء كل من فيكو وهردر إلى عصر التنوير إلا أنهما رفضا النظر إلى الإنسان من جانب واحد وهو العقل، ففي المقابل توجد ملكة أخرى لا تقل عنه أهمية وهي الخيال وتأكيدهما أن نشأة التنظيمات البشرية كانت بملكة الخيال وحده قبل أن تتطور الملكة العقلية فالإنسان الأول عبر عن نفسه من خلال إنفعالاته وعواطفه لا عن طريق التفكير المنطقي ².

وهناك جانب آخر يمكن أن يكون هردر قد تأثر فيه بأفكار فيكو وهو أن كليهما يقول بالنظرية الدورية في التاريخ، بحيث يرى فيكو أن التاريخ يتطور من خلال مراحل ثلاث وهي المرحلة الإلهية، المرحلة البطولية، المرحلة البشرية، ويرى هردر أن التطور التاريخي يمر بمراحل أربع هي نفس المراحل التي يمر بها تطور الفرد وهي: الطفولة، الشباب، الرجولة، وأخيراً الشيخوخة وهذه المراحل الأربع تتتابع بشكل دوري متصل فكل دورة تفضي إلى الأخرى أن التطور لا يسير في خط مستقيم بل في خط دائري، فهناك تشابه في بعض المراحل التاريخية المتماثلة إلا أنه ليس تشابهاً مطلقاً فكل مرحلة لها طابعها المتفرد، فالتطور التاريخي يسير دائماً نحو التقدم رغم ما تمر به الدورات التاريخية من فترات ضعف وانحلال وسقوط ولكنها تعود لتبدأ أن جديد بصورة أكثر تقدماً، فالتاريخ لا يعيد نفسه، فهنا يمكن أن نلاحظ الفرق بين فيكو وهردر للدورة التاريخية،

¹– Scheiermacher, Friedrich, Hermeneutics and Criticism and other Writings, trans and edited by andrew Bowie, cambridge university press 1998, P 228. نقلا عن عطيات أبو السعود.

²– عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 209 .

فالدورة الترايخية عند هررد دورة حيوية على غرار الدورة العضوية، فيشبه التطور التاريخي بصورة من الحياة النباتية مثل حياة الشجرة فهي تنبت ثم تشب ثم تترعع ثم تذبل، والدورة لا تنتهي بالإنحلال وإنما تبدأ من جديد، بينما لا نرى هذه النظرية الحيوية عند فيكو بما تتسم به هذه النظرية من ضعف فليس صحيحاً أن الدورة الترايخية تشبه الدورة العضوية النباتية لإختلاف طبيعة كل منها من ناحية، ومن ناحية أخرى أن هذا التشبيه يناقض ما قال به هررد عن تقدم التاريخ لأنه من الطبيعي أن تعود هذه الدورة كما كانت تماماً وليس فيها جديد لأنها تبدأ من نفس النقطة وتنتهي إلى نفس النهاية، فالدورة النباتية تعود كما هي ولا تأتي بجديد وهذا يناقض تماماً الدورة الترايخية التي تبدأ من نفس البداية ولكن من نقطة أكثر تقدم، فهناك تجدد بصفة دائمة في مجال التاريخ¹

ويطبق هررد قانون التطور على تاريخ الحضارات فيرى أن الشعوب الشرقية تمثل مرحلة طفولة الجنس البشري، فهم رحل لا يعرفون الإستقرار ولا القانون، وتسود بينهم السلطة الأبوية والإستبدادية، وتمثل الحضارة المصرية القديمة مرحلة الشباب وتميزت بالإستقرار والخضوع للقوانين واحتراف السكان للزراعة، وتواصل البشرية تقدمها وتأتي المرحلة الثالثة من التطور وهي مرحلة الرجولة والنضج الحضاري ويمثلها العصر اليوناني الذي يرتقي بالفكر والحضارة الإنسانية، ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي مرحلة الشيخوخة وتمثلها الحضارة الرومانية حيث استبدت الحكام وحقوق إنتصارات زائفة وبهذا انتهت دورة التطور وقام على أنقاضها عالم جديد وبدأت دورة جديدة².

وهناك جانب آخر يرجح أن يكون هررد قد تأثر فيه بأفكار فيكو، فقد إتفق في القول بالعبادة الإلهية بحيث وصف فيكو علمه الجديد بأنه "لاهوت عقلي مدني في العبادة الإلهية". وأن العبادة الإلهية تتدخل تدخل غير مباشر في مسيرة الأمم الأممية

¹ - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص ص 210، 211.

² - المرجع نفسه، ص 212.

بوجه عام أنه يرى أن الله موجود في الطبيعة والتاريخ وأن الله نظم التاريخ تنظيماً دقيقاً، وأن التاريخ البشري وكذلك التاريخ الطبيعي مظهران على وجود الله، ولقد وضع الإنسان مقابل الطبيعة، فقد أسند هرذر مهمة لنفسه وهي إكتشاف عالم التاريخ، وكذلك ينقل فكرة التطور الخاضع للقوانين الطبيعية إلى مجال التاريخ الذي يتصوره في صورة تاريخ طبيعي للقوى والأفعال والدوافع البشرية حسب المكان أو الزمان.

وحد هرذر بين العناية الإلهية والتقدم في التاريخ فهي عناية مباطنة للتاريخ ولا تسيره لأن التاريخ يخضع لقوانين حتمية.

وكذلك يعمق هرذر فكرة التقدم المألوفة في عصر التنوير تعميقاً جديلاً ومؤكداً قيمة كل عصر تاريخي¹.

المبحث الثاني: تأثر بندتو كروتشيه في فلسفة فيكو

يعتبر بندتو كروتشيه من أهم وأعظم الفلاسفة ورواد الفكر الإنساني الذي أنجبته إيطاليا، ويعد من أحد القلائل المشهود لهم في عصرنا ببعده الأثر في توجيه الفكر الحديث، فالقارئ لا يجد مشقة في البحث عن تفاصيل هذا الفيلسوف، لأنه أنجز مجموعة من المذكرات تخص فكره وفلسفته في سنوات مختلفة حيث قام بجمعها ووضعها في كتاب سمي بـ "إسهام في نقدي خاص"

ولد بندتو كروتشيه سنة (1866-1952) في بسكاسرولي مقاطعة إبروتزي (منطقة موجودة في وسط إيطاليا)، ثم نزلت عائلته إلى مدينة نابولي، كان منذ طفولته يحب المطالعة، فيقرأ كل ما يقع تحت يديه².

كان كروتشيه في ريعان شبابه متديناً ومحافظاً على كل موضوع ديني والسبب في ذلك تأثره بمدير مدرسته الثانوية، حيث كان يقوي إيمان كروتشيه عن طريق إلقاء عليه

¹ - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص ص 213، 214 .

² - ب كروتشيه، سلمى الدروبي، المجلد في فلسفة الفن، المركز الثقافي العربي، تشرين الأول، ط1، أكتوبر 2009،

دروس سماه كروتشيه "بفلسفة الدين"، لكن سرعان ما تززع إيمانه وأصبح يراوده الهم والقلق مما أدى به إلى الإبتعاد عن الدين، لكن لم يبقى مكتوف الأيدي بل بحث عن ما يميل إليه وهو حبه للمطالعة وقراءة الكتب.

في عام 1883 وقع زلزال في نابولي وكان كروتشيه يبلغ 17 عاما، إستفاق من وقع حادث الزلزال المروع فإكتشف بعد ذلك أنه فقد والديه وأخته ولم ينجو من عائلته إلى أخوه¹.

درس القانون في كلية الحقوق بجامعة روما، لكنه مالبت أن تركها واهتم بدراسة الأدب، كما توجه بإهتمامه لدراسة الإقتصاد والسياسة والأفكار الإشتراكية والماركسية حيث يعود الفضل (لأنطونيو لابرولا) في كتاباته حول الإقتصاد الماركسي وشكلت جانبا هاما من فلسفة كروتشيه التي ستؤسس فيها بعد "فلسفة الروح"².

كان أول عمل علمي قام به منسبا على تاريخ منطقة نابولي وعلى آثارها القديمة، ثم تحول إلى الفلسفة الخالصة بعد فترة طويلة قضاها مؤرخا وناقدا، على أنه إستمر يزاول التأليف في هذين الميدانين حتى نهاية حياته، ولم يشغل كروتشيه أي منصب أكاديمي لكنه عمل وزيرا للتربية في الحكومة الإيطالية منذ عام 1920 إلى 1921، ثم لفترة ثانية بعد الحرب العالمية الثانية³.

أما المرة الأخيرة كان في حكومة التحرير وتعليل هذا أن كروتشيه ظل في أثناء الحكم الفاشي، خلال أربع سنوات (1900)، قام بجمع مقالاته حول الماركسية جمعها في كتاب "المادية التاريخية والإقتصاد الماركسي"، كانت هذه المرحلة سببا في تشكيل المذهب الفلسفي، أما سنة 1902 نشر كتاب بعنوان "علم الجمال بوصفه علم تعبير ولغويات

¹ - خديجة زيتلي، بندتو كروتشيه والنزعة التاريخية المطلقة، المركز العربي الإسلامي للدراسات العربية، 2007، ط2 ص 25.

² - فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم بيروت، لبنان، ص 340.

³ - المرجع نفسه، ص 340.

عامّة"، وهذا الجزء الأول من فلسفة الروح، وفي عام 1903 أسس مجلة النقد التي كانت تبحث عن الفكر الهيجلي والمثالي اللذان كانا يؤثران على إيطاليا في القرن العشرين، أما سنة 1907 ظهر كتاب كروتشيه حول هيجل المسمى بـ "ما هو حي وما هو ميت في فلسفة هيجل".

وفي سنوات 1905، 1908 ظهر "كتاب المنطق" وهو يمثل الجزء الثاني من "فلسفة الروح"، وفي سنة 1909 نشر كروتشيه كتابه "فلسفة العمل" وهو الجزء الثالث كذلك من "فلسفة الروح"، وفيه يؤكد كروتشيه علاقة هذا الكتاب بالمادية، فمن مظاهر النشاط العملي إجمالاً هناك الإقتصاد والأخلاق¹.

يعدّ كروتشيه من المعجبين بفلسفة "جامبا تيستا فيكو"، حيث تأثر به تأثراً عظيماً أدى إلى إصدار كتاب عنه سماه بـ "فلسفة فيكو"، سنة 1911، أما سنة 1915 نشر كتابه المسمى بـ "تاريخ إيطاليا في العصر الحديث"، "1871-1915"، وفي 1938 كتاب "الشعر". وفي الجزء الرابع من كتاب "فلسفة الروح" نشر كتابه التاريخ بوصفه فكراً وبوصفه فعلاً ونشر كتاب "طابع الفلسفة الحديثة 1949"، الفلسفة والكتابة التاريخية، وفي سنة 1952 نشر آخر كتاب له كان حول هيجل سماه "بأبحاث هيجل وإيضاحات فلسفية"².

ولي كروتشيه دور كبير في التشهير بنظريته في العقد الأول من القرن العشرين وذبوع شهرته خارج إيطاليا، نشر كروتشيه كتابه عن فلسفة فيكو قام بنشر سيرته الذاتية حيث قام بعمل ببلوغرافيا عنه إستمرت من 1904 إلى 1910 إعتقد كروتشيه أن فيكو هو مكتشف "علم الإستيقا"، ولذا كانت كلمة الإستيقا نفسها لم ترد على لسانه فقد نظقت بها آرائه عن الشعر وفكرته الرئيسية عن الطبيعة البشرية التي هي بالفطرة طبيعة شاعرية وإيمانه العميق بأن أول شكل من أشكال التفكير كما ظهر عند الإنسان البدائي كان هو التفكير بالصورة الخيالية الشعرية فقدم كروتشيه "العلم الجديد" "كفلسفة الروح"، فبعد أن

1- تأليف أ. بوشنسكي، ترجمة د. عزة قرني، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، علم المعرفة، سبتمبر 1992، ص 108.

2- عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 62.

هبط أفلاطون بالشعر وطرد الشعراء من الجمهورية رفعه فيكو وجعله أساس الروح، بل جعله يمثل مرحلة كاملة من مراحل التطور البشري¹.

لقد كان غرض فيكو في العلم الجديد وضع علم بإمكانه أن يجمع الطبيعة الإنسانية للأمام محددًا له الموضوع والمنهج، فقد تحدث عن نظرية معناها نظرية الدورة التاريخية وتعني أن قانون الحياة هو تقدم وتدعى أيضا بقانون المراحل الثلاثة وفيه يعتقد فيكو أن البشرية مرت بمراحل خلال تطورها وهي عصر الآلهة، عصر البطولة، عصر البشر فقد كان كروتشيه صاحب الفضل الكبير في إحياء فكره في العقد الأول من القرن العشرين، كما كان له الفضل الأكبر في ذيوع شهرته خارج إيطاليا، فقد نشر كتابه فيها "فلسفة فيكو" نشر فيها سيرته الذاتية"².

المبحث الثالث: تجاهل فولتير لفلسفة فيكو

وفي هذا المبحث نتناول فلسفة التاريخ عند فولتير كنموذج من نماذج الفلسفة الأوروبية، والحقيقة أن فلسفة التاريخ عنده تعبر عن جزء من فلسفته كلها. ولذلك فإنه عند تناول فلسفة التاريخ عند فولتير فكأننا نتناول فولتير من كل جوانبها وليست نظريته التاريخية فقط، وهنا تكمن الصعوبة. إن فولتير قد تجاهل فلسفة التاريخ عند فيكو واعتبر أن فلسفته تبدأ منه، ومن هنا نتساءل: ما هي أهم أفكار التي جاء بها فولتير فيما يخص فلسفة التاريخ؟ .

فولتير فرانسوا ماري أوريه دي فولتير Francois Marie Arowet de Voltaire ولد في باريس عام 1694م كان أبوه يعمل للعقود، ومن أم تمت إلى الإستقرائية، تعلم فولتير مذهب الشك والجدل، فأصبح ماهراً في الحجة والنقاش وخاصة

¹ - خديجة زيتلي، بندتو كروتشيه والنزعة التاريخية المطلقة، مرجع سابق، ص 30.

² - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 63.

في مسائل اللهوت، ثم أرسله أبوه إلى مدينة (كان) حيث استمر بعشق الأدب والفكر فأرسله إلى مدينة (لاهاي) ولكنه عاد منها إلى باريس ثانية وقد بلغ عمره 21 عاماً.

عاد فولتير إلى باريس عام 1715م في اليوم الذي توفي فيه الملك لويس الرابع عشر، ليخلفه لويس الخامس عشر الصبي الصغير تحت الوصاية، ونتيجة لهجوم فولتير على الوصي على العرش أدخله الوصي سجن الباستيل في 16 أبريل 1717م وبقي سجيناً لمدة أحد عشر شهراً انتحل أثناءها لسبب غير معروف إسمه الأدبي (فولتير).

وعندما أطلق سراحه كتب مسرحية (أوديب) التي هاجم فيها رجال الدين¹.

ونتيجة لنقده للشخصيات الأرستقراطية دخل فولتير الباستيل مرة أخرى، ثم أخرج بشرط أن يختار انجليترا منفى له فذهب إليها عام 1726م، وبقي ثلاث سنوات درس خلالها الفلسفة الإنجليزية والأدب والسياسة، وتعد هذه المرحلة حاسمة في تكوينه الفكري إذ ذهب إليها شاعراً وعاد فيلسوفاً².

وقد أعجب بالديمقراطية الإنجليزية وبالمخترع الإنجليزي (إسحاق نيوتن)، وقد كتب كتاباً أسماه (رسائل عن الأمة الإنجليزية) نشر في فرنسا عام 1737م.

لقد قارن فولتير في كتابه بين الحرية في أنجليترا والطغيان في فرنسا وانتقد الأرستقراطية ولقد جاءت هذه الرسائل لتكون النذير الأول للثورة الفرنسية³.

ولقد ذهب فولتير بعد ذلك إلى بروسيا عام 1736م بدعوة من ملكها فريدريك الذي وجد عنده الأمان ثم اختلف معه في 1755م وهرب إلى سويسرا بعد ذلك منع من دخول فرنسا.

استقر فولتير في قرية (فرنّي) على الحدود السويسرية الفرنسية، وعاد إلى باريس عام 1778م حيث توفي في نفس العام عن عمر يناهز 83 عاماً.

¹ - ويل ديورانت، قصة الفلسفة من سقراط إلى جون ديوي، ترجمة أحمد الشيباني، بيروت، بدون تاريخ، ص 360.

² - المرجع نفسه، ص 363.

³ - المرجع نفسه، ص 366.

الظروف المعاصرة لفولتير:

يشار إلى القرن 18 على أنه عصر التنوير ويقصد بذلك "سيادة فلسفة عقلية تجريبية مادية ترفض الميتافيزيقا، ولا تقدر الدين وتهتم بالرياضة والفلك والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي والجغرافي والطب، فلسفة تؤمن بالتغيير تسعى إلى التجديد في كل شيء، ويدور التفكير فيها حول الإنسان"، فالإهتمام بالتاريخ في القرن 18 مظهر من مظاهر الإهتمام بالإنسان، وقد أثر حدوث الثورة الصناعية في القرن 18 في الأحوال الفكرية والإجتماعية¹.

هذا إلى جانب تطور العقلية الأوروبية في نظر العلم والفلسفة حيث أصبحت تتطلب تطوراً مماثلاً في ميدان النظريات السياسية، فظهرت موجة من النظريات السياسية والإجتماعية حفلت بها العصور الحديثة، وأدت إلى إنقلابات بعيدة المدى في نظم الحكم وطرق التشريع، وفي الإدارة².

كان إذا عصر التنوير أو عصر نظرية التقدم نتاج الأحداث والكشوف العلمية خلال القرنين 17 و 18، ومن ثم استمرار نظرية التقدم سائدة طوال القرن 19، حيث إهتمت بأن التاريخ الحقيقي هو تاريخ الفكر الذي يكشف عن تقدم العقل البشري، ومن ثم أصبحت وحدة الدراسة التاريخية هي الحضارة، وليست الأحداث السياسية التاريخية³.

وقد كان كثير من الناس في القرن الثامن عشر ممن لا يؤمنون بالمبادئ التي تركز عليها الفكرة المسيحية عن التاريخ، أي فكرة العناية الإلهية وسيطرة الكنيسة على الدولة ولكن الذين كانوا يرفضون تلك المبادئ في كتابات علية قلة قليلة نسبية كان أظهرها فولتير⁴.

¹- ويل ديورانت، قصة الفلسفة من سقراط إلى جون ديوي، ترجمة أحمد الشيباني، بيروت، بدون تاريخ، ص 368.

²- المرجع نفسه، ص 369.

³- المرجع نفسه، ص 370.

⁴- رأفت الشيخ، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص ص 105، 106.

أفكار فولتير:

نظرية التقدم عند فولتير:

نستند مما سبق أن فولتير كان يدين بأفكار نظرية التقدم السابقة الذكر، والتي تنقد السرد التاريخي وتجمد العقل، وقد حدد الفلاسفة التنوير العقلي القائلين بالتقدم المستند للفعل الانساني معنى التقدم في تفسير علمي عدة معاني وهي:

1- معنى تطور يقوم على أنه لما كانت عملية التقدم حتمية، وقد أدت بالإنسان أن يصبح على رأس الكائنات الحية، كان معنى التقدم متضمناً في الطبيعة ذاتها، فالإنسان بوصفه ابناً للطبيعة خاضع للقانون الطبيعي، ومن ثم فإن مسار التاريخ لا بد أن ينطوي على تطور نحو ما هو أسمى.

2- معنى فلسفي مذهبي، حيث اتخذ مفهوم التقدم طابع نظرية شاملة في فلسفة التاريخ مثل نظرية هيجل.

3- معنى سياسي يقوم على حدوث المد الإستعماري في القرن 19 على سبيل المثال اتساع رقعة الإمبراطورية البريطانية.

4- معنى حضاري يقوم على استغلال العلم وتقدمه في جو ديمقراطي، في السيطرة على قوى الطبيعة وتسخيرها لصالح الإنسان وسعادته.

وينقسم أصحاب نظرية التقدم إلى فريقين:

الأولى: يدين بفكرة تراجعية في تفسير أحداث الماضي، ومؤداها أن التاريخ الماضي يمثل قوى اللامعقول ويمثل هذا الفريق كل من فولتير ومونتسكيو.

الثاني: يدين بفكرة مستقبلية تتطلع إلى الأمام على أمل سيطرة العقل على النشاط البشري ويمثل هذا الفريق الكاتب الفرنسي (كوندرسيه).

ولم تتوقف ثورتهم ضد الماضي فحسب، بل امتدت حملتهم النقدية إلى رجال الدين ثم إلى الدين المسيحي نفسه الذي لم يصبح في نظرهم عاملاً مهماً من عوامل تشكيل الحضارة¹.

¹- رأفت الشيخ، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 104.

منهج فولتير في كتابة التاريخ:

يرجع أول استعمال للفظ (فلسفة التاريخ) إلى فولتير وإن كان ذلك لايعني أنها ابتدأت به وإنما يرجع إلى ابن خلدون، وقد قصد فولتير بهذا المصطلح دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف، أي دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات وذلك يعني كل رواية غير مقبولة عقلياً أو محتملة للشك.

إن نقطة إنطلاق عند فولتير في فلسفة التاريخ من استنكاره أن تصبح دراسة التاريخ أكواماً مترامية¹.

لقد أراد فولتير تنقيح الدراسة التاريخية بما يمكن تسميته بالتاريخ النقدي فقد قصد إلى تعديل طبيعة الدراسة التاريخية من التاريخ السياسي والعسكري إلى فلسفة الحضارة. إن مهمة التاريخ النقدي أن يجرد الفكر الإنساني من العبودية والخرافة، من أجل نشر الحرية والتنوير والعقل، ومهمة فلسفة الحضارة أن تتسع دراسة التاريخ من أخبار المعارك وسير الملوك إلى ما هو أهم حيث تتبع سير العقل البشري ممثلاً في شتى مظاهر النشاط الإنساني.

كان فولتير يؤمن بأن التاريخ الحضاري للعالم هو الذي يوضح وجود حضارات منذ فجر التاريخ، وكان يؤمن بأن دراسة الحضارات بإعادة تقييم وقائع التاريخ الأوروبي في العصرين القديم والوسيط، وذلك للكشف عن أخطاء الماضي وإمكان تجنبها في المستقبل وأن عصر التنوير أكثر عصور التاريخ استنارة لسيادة العقل فيه².

إن التاريخ الحق هو تاريخ العلم، لأنه يكشف عن تقدم العقل البشري، ومن ثم يجب أن يكون شغلنا في التاريخ أن نتبع الإكتشافات منذ إكتشاف الخوارزمي للجبر إلى آخر منجزات عصرنا، إن وحدة التاريخ هي الحضارة لا الشخص الحاكم، ويضيف فولتير قائلاً "إنني أرغب ألا أكتب تاريخ الحرب، بل تاريخ التمتع كيف عاش الناس داخل محيط

¹ - أحمد عطية رمضان، في فلسفة التاريخ، الخرطوم، 1990، ص 13 .

² - المرجع نفسه، ص 14 .

عائلاتهم، وما كنته الفنون التي هذبوها وطوروها بصورة مشتركة، إن موضوعي هو تاريخ العقل البشري وليس مجرد تفاصيل من وقائع تافهة، كما أنني لست مهتما بتاريخ اللوردات العظام، ولكنني أريد أن أعرف بما كنته الخطى التي عبرت بالشر من البربرية إلى المدينة".

وهكذا اتبع فولتير "الفلسفة الأولى للتاريخ" أما المحاولة المنهجية الأولى الاقتصادية أثار تيار التحليل الطبيعي في تطوير العقل البشري الأوروبي، وهذا أمر كان من المرتقب أن يتبع فوراً نبذ التعابير الخارقة للطبيعة والتخلي عنها¹.

إن البدايات الأولى في فلسفة التاريخ عند فولتير كانت دراسة علمية بعيدة عن القول بأن التاريخ مجرد سرد لوقائع وأحداث الماضي المتركمة مؤكداً على عرض الحقائق بكل موضوعية ودقة وفي روايتها، ولا يعتبر أن كل الحقائق هي صادقة بالضرورة "إن التاريخ لا شيء سوى مجموعة من الأباطيل والخدع التي نلعب بها على الأموات بحيث نحول الماضي ليتناسب مع رغبتنا في المستقبل"².

ويوضح هنا أن المقصد من فهم التاريخ وتقصي أحداثه بتهيئة الماضي وجعله سبيلاً لفهم المستقبل وذلك من خلال إتباع مسيرة العقل البشري.

وقدم فولتير رأيه في هذا الأمر من خلال فلسفته العقلية لان العديد من الباحثين عدّه أبو المدرسة العقلانية في التاريخ، وفي هذا يرى "أن العقل يمكن المؤرخ من علاج الماضي علاجاً يتسم بالذكاء والقدرة على الاستفادة منه، كما يمكن رجل السياسة في الحاضر من العمل لخلق عالم أفضل أمام الإنسان"³.

وهذا ما أوضحه في كتابه "مقال في أخلاق الأمة وعقلها"، بأن العقل هو ميزة المؤرخ يفهم الماضي ويتنبأ بالمستقبل وأحداثه وأوضح مقصده هذا برجل السياسة، فمهمة فلسفة

¹- ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص 393، 395.

²- المرجع نفسه، ص 275.

³- هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 295.

التاريخ الأصلية هي الإبتعاد عن الخرافات من أجل تبيان درب العقل، أما مهمة فلسفة الحضارة فتكمن أن تتسع لتدرس التاريخ من أخبار الحروب والمعارك ومسار الملوك.

ولقد كتب فولتير في كتابه "الرسالة الفلسفية" يقول: "إن بعض المؤرخين يهتم بالحروب والمعاهدات، ولكنني بعد قراءة وصف ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف معركة وبضع مئات من المعاهدات لم أجد نفسي أكثر حكمة مما كنت قبلها، حيث لم أتعرف إلا على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة وأي حكمة تكتسب من العلم سيادة طاغية وعلى شعب بري لا هم له إلا أن يغزو ويدمر"¹.

إن الجدير بالذكر هو تتبع مسيرة العقل البشري في جميع المجالات وكل ما يهم حياة الأمم حيث تكون هذه الأخيرة أبلغ وأجدر معرفة على أخوار المعارك والمعاهدات وأخبار الملوك لأن الأمم تتحقق قوتها وتطورها من خلال شعرائها وفلاسفتها وهذا ما صرح به فولتير في قوله "أنه لم يكتسب أي معرفة إلا مجرد حوادث لا تستحق الإهتمام وقد وصل إيمان فولتير بحتمية التقدم الإنساني" ويقول أيضا: "أنه يمكننا أن نعتقد أن العقل والصناعة سوف يتقدمان أكثر فأكثر وأن الفنون المفيدة ستحسن وأن المفاصد التي حلت بالإنسان ستختفي بالتدريج بين أولئك الذين يحكمون الأمم وأن الفلسفة بعد إنتشارها في العالم ستقدم العزاء للطبيعة البشرية التي ستعانيها العصور كلها"².

فالغاية الحقيقية الكامنة وراء فهم التاريخ من منظور فولتير معرفة منجزات العقل البشري وماوصلت إليه عبر أحقاب التاريخ المختلفة من علوم وفنون وصناعات، وهذه كلها مظاهر الحضارة الإنسانية وهذا ما عابه فولتير على المؤرخين كونهم يصبوه إهتماماتهم فقط بأخبار الدول والملوك والكنائس ومابلغوه متناسين بذلك مظاهر قيام الحضارة نحو التقدم"³.

¹ - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 180.

² - مصطفى النشار، فلسفة التاريخ مرجع سابق، ص 84.

³ - هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 295.

إن فولتير قد أكثر في التأمل في الحيوية التاريخية وأراد أن يمدد طبيعتها فهو القائل من باب التاريخ ودائرة المعارف، إن سر الأحداث التاريخية مزعوم صدقها هو العكس من الخرافة التي هي سر حوادث مقدمة على أنها كاذبة¹.

أي أن الكتابات التاريخية قائمة على العقل هي في جوهرها كتابات حول الفكر ومن هذا المنطق يؤكد فولتير أن كل من العقل والتفكير الإنساني يؤديان إلى التقدم الإنساني، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل في صميمه على دفع الحضارة إلى التقدم إلى الأمام، فقد آمن فولتير أن الإنسان خير بذاته وأنه لا يحمل الشر أو الخطيئة في نفسه وإن العقل البشري لا يختلف أساساً من مكان لآخر في العالم، ولما يوجد من إختلافات يعزي إلى إختلافات البيئة الإجتماعية أي إلى أنماط السلوك والعادات موضحاً أن هناك ثلاث عوامل رئيسية تؤثر على تشكيل عقل الإنسان وهي المناخ ونظام الحكم والديانة².

وعليه إذا عملت هذه العوامل بشكل صحيح فبالضرورة يكون العقل الإنساني يسير في شكل صحيح غايته والعكس صحيح لأن أقصى غاية أراها فولتير هي الدعوة إلى فهم التاريخ من خلال فلسفة عقلية قائمة على التحليل والنقد لا على الخرافات والأقاويل وبهذا يكون فولتير قد رفض رفضاً تاماً بالتغيرات اللاهوتية المنطلقة من فكرة مفادها أن الكون والمجتمع كلاهما يسيران آلياً إلى الحقائق والإكتشافات العلمية لأن التاريخ البشري تسيره علاقة محددة بين السبب والنتيجة.

وبهذا إنتقد فولتير فكرة العناية الإلهية التي قال بها فيكو، وقد إنتقد فولتير مفهوم العناية الإلهية جدلياً لإستبعاده كأساس لتحديد مسار التاريخ، ذلك أنه إما أن الله قادر على أن يزيل الشر عن العالم أم لا، أو أنه يريد الشر أو لا يريد، فإذا كان مريداً إزالته ولا يقدر ذلك ينقص من قدرته المطلقة، وإذا كان يقدر ولا يريد فذلك ينقص من خبرته

1- قاسم يزبك، التاريخ والمنهج التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990، ص 28.

2- المرجع نفسه، ص 29.

وان كان لا يقدر ولا يريد فذلك منقص من قدرته وخبرته معا، وإذا كان يقدر على إزالته ويريد ذلك فمن أين جاء الشر في العالم¹ .

لقد رفض فولتير العناية الإلهية في تفسير التاريخ لقوله "إن الله خلق العالم وفق لقوانين ثابتة لا علاقة لها بأفعال الإنسان من خير أو شر، وأن الله قد منح الإنسان العقل ليحسن استخدامه من أجل سعادته وسعادة الآخرين، ومن ثم فإن التاريخ لا يسير وفق لمفهوم العناية الإلهية"² .

¹ - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 184.

² - مصطفى النشار، فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 86.

المبحث الرابع: المشاكل النظرية في فلسفة التاريخ عند فيكو

إذا أردنا التمعن في فلسفة فيكو ودورته الحضارية كان لزاما علينا تسليط الضوء على أهم الجوانب الإيجابية والسلبية في نظريته، وذلك من أجل تقييمه، فذلك من خلال العديد من الآراء التي أبداها المفكرين والكتاب، وعليه سوف نتطرق أولا لأهم الجوانب الإيجابية.

- يمكن القول أن فيكو هو امتداد وفي وأمين لرواد النزعة الإنسانية في عصر النهضة ولقد جعل الإنسان محور الدائرة ومركزها فإن كان الله هو خالق الطبيعة فالإنسان هو صانع التاريخ أي أن فيكو جعل من الإنسان جوهر المعرفة وموضوعا لها ليس هذا فحسب بل جعله موضوعا للتاريخ وصانعه.

- يمكن أيضاً استخراج دراسة جمالية من نظرية فيكو في اكتشاف حقيقة هوميروس ومن نظريته في أصل الشعر وهي مشكلة شغلت العديد من المفكرين في القرن 19، أي أن دراسة فيكو في الحضارات لم تكن دراسة سطحية بل تعمق فيها واكتشافه لجماليات بعض الحضارات كحقيقة هوميروس.

- إضافة إلى أنه مؤسس فلسفة التاريخ في الفكر السياسي أو بالأحرى مؤسس علم التاريخ فقد استطاع أن يستخلص البنية النظرية للتاريخ مستخلصاً القانون العام الذي يحكم مسار التاريخ وتطوره فقد جعل العديد من المفكرين من فيكو مؤسساً لعلم التاريخ¹.

ضف الى ذلك أنه أسهم بشكل كبير في إستخدامه لفكرة العناية الإلهية إستخداما واسعا في تفسير أحداث التاريخ وبطريقة تبدو غير واضحة ولم يحدد تحديدا واضحا لطبيعة الصلة بين العناية الإلهية الخاصة والعناية الإلهية العامة، الأمر الذي جعل فلسفته التاريخية بعيدة عن المتطلبات العلمية، وهي في الوقت ذاته لا تخطى بمباركة

¹ - عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 245 .

أصحاب التفسيرات الرئيسية فقد عدو حديثه عن العناية الإلهية مجرد تغطية لإخفاء حقيقة معتقدة بعيدة عن التوحيد¹ .

بالإضافة الى فكرة أخرى تميزت بها فلسفة فيكو وهو حديثه عن الدورة الحضارية " إن نظرية فيكو حول الدورات الحضارية والعصور التي تمر بها كل دورة تنطوي على تبسيط مدخل بالحقيقة التاريخية وتقوم فضلا على ذلك على إفتراض قوانين صارمة تتبعها الإنسانية في تحولها من مرحلة إلى مرحلة في حين أن هذه المراحل تتداخل فيما بينها وعليه فإن نظرية فيكو القائلة " إن التاريخ يسير في شكل دوري ويعيد الكرة من جديد وأن تعاقب الحضارات بشكل لولبي مستمر دون إنقطاع فهذه النقطة بالذات قد شكلت نقطة ضعف في فلسفته وهذا ماأكده كروتشيه موجهها سهام النقد لهذه الفكرة تحديدا على إعتبار أن الدورة الحضارية وإن عادة وكان ذلك ممكنا فهو مجرد ضرب من الوهم والخيال لا غير² .

استحدث فيكو نظرة جديدة للتاريخ، فبعد أن كان التاريخ يقتصر على الأحداث السياسية والمعارك الحربية وأصبح يهتم بمشكلة أصول تكوين المجتمع المدني أي أصبح من اهتمامه بالحضارة وسير المجتمعات البشرية وتنظيماتها نحو التطور والتقدم. قيامه بدراسة التاريخ دراسة حية من خلال المستندات والوثائق وما خلفته الشعوب القديمة في أدبها وأشعارها وذلك من خلال جمعه للعديد من الآثار الدالة على الحضارات السابقة كالنقود ومحاوله دراستها بأبعادها الزمانية. إن بحث فيكو في نشأة المجتمعات الإنسانية كان أكثر واقعية من فلسفة عصره أمثال أوغست كونت³ .

¹-هاشم يحي الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 287 .

²- المرجع نفسه، ص 288 .

³- عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، مرجع سابق، ص 245.

إن نظرية فيكو لم تكن دراسة علمية بل غلب عليها الطابع الوصفي أكثر منه التحليلي حيث أنه أسهم وبشكل كبير في وصف تاريخ اليهود والتي غلب عليها الطابع الديني مما أبعده على الجانب العلمي لأنه كي نطلق الحكم على نظرية على أنها علمية وجب علينا أولاً التحرر من كل القيود الرئيسية لكي نكون في المستوى العلمي الصحيح، فنظريته هذه حول التاريخ الجزء الأكبر منها إن لم نقل كلها كانت مأخوذة من الكتاب المقدس لأنها اعتمدت وبشكل كبير على الأساطير والخرافات¹ .

¹ - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مرجع سابق، ص 289 .

ملخص الدراسة :

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أهم فيلسوف غربي كان مجهول من طرف العديد من الفلاسفة والمفكرين، ويعد المؤسس الحقيقي لفلسفة التاريخ حيث سماها بالعلم الجديد مبينا خصائصه وأهم المبادئ التي يقوم عليها العلم الجديد، مبينا لنا من خلال ذلك القواعد المنهجية والخطوات المساعدة لدراسة علم التاريخ علميا، والأدوار التي تقوم عليها الحضارات، ومدى تأثير بعض الفلاسفة بفلسفة فيكو.

خاتمة

يعد هذا البحث الشامل حول "مفهوم علم الجديد" عند فيكو، سعينا بذلك للوصول إلى نتائج من شأنها أن تجيبنا على الإشكالية التي قمنا بطرحها، والتي كانت تتمحور حول مفهوم فلسفة التاريخ عند فيكو، وكيف كانت فلسفته التاريخية وذلك ما قادنا لطرح العديد من التساؤلات التي تمهد لنا على الإجابة عن الإشكالية المطروحة، إذ توصلنا إلى نتائج والمتمثلة فيمايلي:

- إكتشافنا بأن العصور الوسطى كان لديها إهتمام بالتاريخ، إذ كان لديها حس تاريخي.
- إن فلسفة التاريخ هي مبحث هام من المباحث الفلسفية وهي عبارة عن النظر في الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية ومحاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية والعمل على إستنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر العصور.
- كما أنها تقدم لنا نظرة كلية وشمولية" وتحاول أن تفسر حركية المجتمعات والتي تحاول أن تدرس التاريخ ككل ويعد إدراجنا لمفهوم فلسفة التاريخ هذا الأمر دفعنا إلى التقسي والبحث عن الخلفيات الأولى التي شكلت فلسفة التاريخ وهذه الأخيرة قد حضيت بشهرة كبيرة، كما أشرنا سابقا أن هذه الفكرة ليست بالأمر الجديد بل هي فكرة قديمة متأثلة منذ عصر النهضة، حيث أولى فلاسفة عصور النهضة أهمية كبيرة للتاريخ مما جعلهم يذهبون في الإعتقاد بفكرة فلسفة التاريخ، والإنطلاق ، تحديدا من فكرة أن الأحداث لا تسلك مسارا عشوائيا وغير منتظم بل صيرورتها تكون وفقا لدورة متكررة ومنتظمة.
- وقد كان المؤسس الحقيقي لفلسفة التاريخ هو جامبا تيستا فيكو وسماها "بالعلم الجديد" فهو يعد من ضمن الفلاسفة الذين مزجوا بين فكرتي الفلسفة والتاريخ في آن واحد وذلك خلال القرن 18 حيث وضع لنفسه مجموعة من القواعد والأسس التي يقوم عليها المنهج التاريخي مستعينا بما أبداه فرانسيس بيكون فيما يخص البحث العلمي.

- مبينا لنا مجموعة من العقبات التي يجب على الباحث أو المؤرخ أن يتجنبها أثناء دراسته.
- وقد قدم لنا فيكو مجموعة من الخطوات الواجب إتباعها في دراسة علم التاريخ علميا.
- فقد قدمنا لنا فيكو تصورات تاريخية على أنها تاريخ تطور المجتمعات الإنسانية مؤكدا على البوادر التي أبقاها الإنسان.
- ويعد من أهم ما جاء به فيكو في فلسفته التاريخية هو ما جاء به في المبادئ وخصائص العلم الجديد من مسلمات التي إرتكز عليها.
- فالمبدأ الأساسي الذي يرى فيه فيكو أنه المسيطر على الأحداث التاريخية وحركيتها هو القوة الهمجية والتي تليها القوة البطولية وأخيرا القوة الإبداعية أو الإبتكارية.
- وتتمثل المراحل التاريخية التي كشف عنها فيكو في ثلاث عصور: عصر الآلهة، عصر الابطال، وأخيرا عصر الإنسان، وقد تطرقنا لهذه المراحل بالتفصيل في البحث.
- وعليه فالدورات التاريخية التي قدمها لنا فيكو توحى بأنها ليست مجرد دورات تاريخية لأحداث تاريخية بشكل دورات منتظمة وكفى بل قدم وجهة نظره من خلال تأكيده على أن جميع الامم تسلك هذا المسار الدوري التطوري والمنطلق من فكرة مفادها أن هذا التصميم لمسار التاريخ هي في الأصل تصميم إلهي وليس بشري، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على إرتباط فيكو الديني وإيمانه القوي بأن مرور الأمم بهذه المراحل أمر مؤكد لا مفر منه وبهذا بدأت نظرية فيكو وكأنها إنطلقت من تصور جديد من خلال المراحل الثلاثة التي قال من خلالها آلية التطور.
- فلا يمكن فهم التاريخ عند فيكو إلا من خلال الرجوع إلى المسلمات التي قدمها في تفسير التاريخ.

قائمة المصادر والمراجع

1/ قائمة المراجع باللغة العربية:

- 1- عطيات أبو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، منشأ للمعارف الإسكندرية، جلال وآخرون، الطبعة 1، 1997.
- 2- أحمد محمود صبحي وآخرون، في فلسفة الحضارة اليونانية الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، الطبعة 2، 2000.
- 3- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة دبي، الطبعة 3، 1990.
- 4- لطفي عبد الوهاب يحي، اليونان، مقدمة في تاريخ الحضارة، دار المعرفة الجامعية، الطبعة 2، 1987.
- 5- الدكتور موسى النجار، فلسفة التاريخ، القاهرة، مكتبة مودبولي، الطبعة 1، 2011.
- 6- رأفت الشيخ غنمي، فلسفة التاريخ، دار الدراسات والبحوث الإنسانية الإجتماعية، الطبعة 1، 1996.
- 7- نجاه سليم محمود محاسيس، مفاتيح علم التاريخ، دار الزهران للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة 3، 2012.
- 8- خالد فؤاد طحطح، في فلسفة التاريخ، دار العربية للعلوم الناشر، بيروت لبنان، الطبعة 1، 2009.
- 9- مفيد كامل الزيدي، مدخل إلى فلسفة التاريخ، دار المناهج، للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة 1، 2006.
- 10- رأفت الشيخ غنمي، فلسفة التاريخ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة 2، 1987.

- 11- بن مزيان بن شرقي، دروس في فلسفة التاريخ.
- 12- ماكس هوركايمر، بدايات فلسفة التاريخ، محمد علي اليوسفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2006.
- 13- ألبان ويدجيري، الجزء الأول التاريخ وكيف يفسرونه من الكونفوشيسية إلى توينبي، ترجمة عبد العزيز جويد القاهرة، الطبعة 1، 1972.
- 14- يحي هاشم الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة 1، 2007.
- 15- مصطفى النشار، فلسفة التاريخ، دار الأمل للطباعة والنش، الطبعة 1، 2004.
- 16- كروتشيه، ثورة نابولي 1799، نقلا عن يحي هاشم الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، الطبعة 1، 2007.
- 17- محمود الشرقاوي، أدب التاريخ عند العرب، الجزء الأول.
- 18- ول ديورانت، قصة الحضارة، منظمة الثقافة العربية، القاهرة، المجلد الخامس، الجزء الأربعون، 1985.
- 19- حسين محسن محمد، طبيعة المعرفة التاريخية، دار الثقافة والنشر، مصر، 2004.
- 20- حسن الحنفي، درايات فلسفية.
- 21- مونيس بخضرة، تاريخ الوعي، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة 1، 2009.
- 22- ول ديورانت، قصة الفلسفة من سقراط الى جون ديوي، ترجمة أحمد الشيباني.

- 23- أحمد عطية رمضان، في فلسفة التاريخ، الخرطوم، 1990.
- 24- ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة 1، 1983.
- 25- قاسم يزبك، التاريخ والمنهج التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة 1، 1990.
- 26- نف ايمني، المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق اسكندر، القاهرة، مكتبة انجلو المصرية، الطبعة 2، 1947.
- 27- ب. كروتشيه ، سلمى الدروبي، المجلد في فلسفة الفن، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، تشرين الأول ، أكتوبر 2009 .
- 28- خديجة زيتلي ، ب . كروتشيه و النزعة الإنسانية المطلقة، المركز العربي الإسلامي للدراسات العربية، 2007 .
- 29- فؤاد كامل ، جلال العشري و آخرون ، الموسوعة الفلسفية مختصرة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، 2006 .
- 30- تأليف أ. بوشنسكي، ترجمة د.عزة قرني، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، علم المعرفة، سبتمبر 1992.
- 2/ الموسوعات والمعاجم:
- جورج طرابشي، "معجم الفلاسفة المناطق المتصوفون واللاهوتيون"، دار المعارف الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة 3، 2003.
- موسوعة عبد الرحمان بدوي، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة 1، 1984.

- موسوعة لالاند الفلسفية، خليل أحمد خليل، المجلد الثاني، باب العناية الالهية،

منشورات تويدات، بيروت، الطبعة 2، 2001.

3/ المراجع باللغة الأجنبية:

- 1- vico. G B. New.science trans, by thomas Goddard Berigin,
Harold Fisch, New York comell university press, 1969.
- 2- vico, principes d'une science novell, Ed, Gallimard paris
1993.
- 3- pons vico, in Dictionnaire, des philosophes, A, Micle
paris.1998.
- 4- Ferry, Giam, Battista, vioc in Dictionnaire des E.uvers
politique, puf paris 1995.
- 5- Vico, GB , on the study Methods, of our time tran, by Elio
Gianturco, New York, 1965.
- 6- I saish Berlin Nico and Herder, "Two stndies,in the History
Ideas the Hor garth press London 1976.
- 7- Berlin, Isaiah, vico and Herder, London, New, York, Hogarth
press, 1976.
- 8- Edwards, Paul, the Encyclopedia.
- 9- Schleiermacher, Friedrich, Hermeneutics and, Criticism and
other writings. Trans and edited by Andrew Bowie, Cambridge
university press, 1998.

**10– Vico: G.B, the Autobiography, trans by fisch, H& Bergin.
TG, Ithaca New York cornelle university press, 1962.**

الفهرس

الصفحة	العنوان
	الشكر والعرفان
	الإهداء 1
	الإهداء 2
أ- د	مقدمة
6	الفصل الأول : من علم التاريخ إلى فلسفته:
6	المبحث الأول : التعريف بفيكو
6	المطلب الأول: من هو فيكو؟
7	المطلب الثاني: مؤلفات فيكو
9	المطلب الثالث: الإتجاهات الفكرية لفيكو
11	المبحث الثاني: حالة الدراسات التاريخية قبل عصر فيكو وفي عصره
11	المطلب الأول: طبيعة الحقيقة التاريخية عند اليونان والرومان
14	المطلب الثاني: طبيعة الحقيقة التاريخية عند المسيحيين
16	المطلب الثالث: طبيعة الحقيقة التاريخية في عصر النهضة
18	المبحث الثالث: بين علم التاريخ وفلسفة التاريخ
19	المطلب الأول: مفهوم التاريخ
19	المطلب الثاني: مفهوم علم التاريخ
21	المطلب الثالث: ماهية فلسفة التاريخ
25	المطلب الرابع: الفرق بين فلسفة التاريخ وعلم التاريخ
28	الفصل الثاني: فلسفة التاريخ عند جامبا تيستا فيكو
28	المبحث الأول: موقف فيكو من فلسفة عصره
28	المطلب الأول: موقف فيكو من الفلسفة الديكارتية
31	المطلب الثاني: موقف فيكو من أصحاب نظريات القانون الطبيعي
33	المبحث الثاني: القواعد المنهجية لدراسة علم التاريخ عند فيكو
34	المطلب الأول: الخطوات المساعدة لدراسة الحوادث التاريخية علميا

36	المطلب الثاني: دور العناية الإلهية في التاريخ عند فيكو
39	المبحث الثالث: مبادئ العلم الجديد وخصائصه عند فيكو
39	المطلب الأول: الأصول
40	المطلب الثاني: المبادئ
44	المطلب الثالث: المنهج
45	المبحث الرابع: أطوار الحضارة عند فيكو
46	المطلب الأول: عصر الآلهة
48	المطلب الثاني: عصر البطولة
50	المطلب الثالث: عصر الإنسان
54	الفصل الثالث: أثر العلم الجديد وقيمه
54	المبحث الأول: تأثير هرذر بفلسفة فيكو
59	المبحث الثاني: تأثير بندتو كروتشيه في فلسفة فيكو
62	المبحث الثالث: تجاهل فولتير لفلسفة فيكو
71	المبحث الرابع: المشاكل النظرية في فلسفة التاريخ عند فيكو
75	خاتمة
	الفهرس